لجنة نشر المؤلفات التيمورية

الآثار النبوية

بقلم
العلامة المحقق المغفور له
أحمد تيمور باشا

وهي البحوث التاريخية النفيسة التي حققها
الفقيد الكريم واختتم بها حياته الطيبة المباركة

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥١

لجنة نشر المؤلفات التيمورية

الآثار النبوية

بقلم

العلامة المحقق المغفور له

أحمد تيمور باشا

وهي البحوث التاريخية النفيسة التي حققها الفقيد الكريم واختتم بها حياته الطيبة المباركة

القاهرة
مطبعة دار الكتاب العربي
١٩٥١

الطبعة الأولى { شوال سنة ١٣٧٠
يوليه سنة ١٩٥١



العلامة المحقق المرحوم احمد تيمور باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة اللجنة

دأبت « لجنة نشر المؤلفات التيمورية » على البحث عن شتى المؤلفات الخطية وغير الخطية من آثار المغفور له العلامة المحقق « أحمد تيمور باشا » توطئة لتقرير ما تراه بشأن طبعها

وقد اجتمعت كلمة اللجنة برياسة سعادة الشيخ المحترم العالم «خليل ثابت بك» — والبلاد مقبلة على موسم الحج والزيارة — عَلَى أن تقدم للطبع كتاب « الآثار النبوية الشريفة » على سائر ما لدى اللجنة من المؤلفات التيمورية الكثيرة المشار إليها .

وقد بادرت إدارة اللجنة إلى تنفيذ هذه الرغبة الكريمة فى طبع هذا الكتاب ونشره . وهو ولا شك كتاب فريد فى أسلوبه ، حافل ببحوث شتى فى آثار الرسول العظيم صلوات الله عليه وسلامه .

وبهذه المناسبة نذكر أن الفقيد العلامة «أحمد تيمور باشا » نشر فى حياته جانباً من هذه البحوث النفيسة فى « مجلة الهداية الإسلامية » وتولى بنفسه بعد ذلك إدخال بعض الإصلاحات على النسخه المطبوعة ،

وزاد فى تعليقاته فى بعض المواضع ، وأضاف إلى ما كتب من قبل جديداً من بحثه واطلاعه .

وقد راجعت اللجنة تصحيحات الفقيد لأصول البحوث ، وأضافت إليها ما عثرت عليه من تعليقاته وملاحظاته التى كانت مبعثرة هنا وهناك من تراثه النفيس الذى تسلمته اللجنة ، حتى استكمل هذا المؤلف شتى جزئياته وكلياته ، وبدا اليوم كاملاً شاملاً رائعاً سهل العبارة غزير المادة ، شأن جميع المؤلفات التيمورية التى عنيت اللجنة بنشرها تباعاً ، فلقيت من جمهور القراء فى مصر وسائر الأقطار العربية والإسلامية تقديراً وإقبالاً ، مما شجعها عَلَى مواصلة جهادها فى سبيل خدمة العلم ونشر الثقافة العامة فى مصر وشتى أنحاء العالم العربى .

ومما هو جدير بالذكر ، أن هذا المؤلف هو آخر البحوث النفيسة التى اختتم بها الفقيد العظيم حياته الطيبة المباركة ، تقرباً إلى الله ، وإعلاء لشأن الدّين ، وخدمة للعلم والتاريخ . وقد بلغ الفقيد غايته ، وأدَّى رسالته ؛ رحمه الله وأجزل مثوبته .

مقدّمة

لم أقصد ببحثى هذا سرد ما دُوّن عن الآثار الشريفة التى اختصّ بها محمد صلى الله عليه وسلم فى حياته ، وخلّفها بعد انتقاله إلى الرّفيق الأعلى من سلاح ومراكب وثياب وآلات وغيرها ، فإن فى كتب السيرة من بيان ذلك ما يغنى عن التحدُّث به إلى القراء ، وإنما قصدت أن أحدثهم عن آثار اشتهرت نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم وتداولها الناس بلا تمييز من غالبهم بين صحيحها وزائفها ، لأبين ما حققه العلماء عنها . وسأبدأ بالقضيب والبردة لاشتهارهما فى الخلافة العباسية .

ولله در العلامة الأديب صلاح الدين الصفدى حيث قال فيما صح من هذه الآثار :

أكرِم بآثار النبىّ محمد   من زاره استوفى السرورَ مَزارُهُ
يا عين دونك فانظرى وتمتعى   إن لم تَرَيْهِ فهذه آثاره

واقتدى به جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقى فقال :

يا عين إن بعد الحبيب وَداره   وَنأت مرابعه وَشطّ مزاره
فلقد ظفرت من الزّمانِ بطائل   إن لم تريه فهذه آثاره

القضيب والبردة

أثران نبويان كانا من شارات الخلافة فى الدولة العباسية ، كما كان الخاتم من الشارات السلطانية فى دول المغرب ، والمظلة فى الدولة الفاطمية على ما يقول « ابن خلدون »[1] . غير أن الخاتم والمظلة وغيرهما من الشارات لم تكن لها قيمة أثرية كالشارة العباسية ، ولا سيما فى شرف النسبة إلى المقام النبوى الكريم ، وإنما كانت آلات محدثة فى تلك الدول ، قيمتها فيما كان بها من التحلية والترصيع .

أما القضيب فالمروىّ فى كتب السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم كان له قضيب من شَوْحَط يسمى الممشوق ، قيل : وهو الذى كان الخلفاء يتداولونه . قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما القضيب فهو من تركة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى هى صدقة ، وقد صار مع البردة من شعار الخلافة » . وكان الرسم أن يكون بيد الخليفة فى المواكب[2] ، وكانوا يطرحون البردة على أكتافهم فى المواكب

---

(١) المراد هنا بالخاتم حلية الإصبع المعروفة ، وكانوا يستجيدون صوغه من الذهب ويرصعونه بفصوص الجواهر واليواقيت ويلبسه السلطان شارة فى عرفهم . أما المظلة فلم ينفرد بها الفاطميون ، بل كان يشاركهم فيها ملوك الدول الأعجمية بالمشرق كبنى سلجوق وغيرهم تقليداً لملوك الصين ، وإنما اشتهر الفاطميون بمظلتهم لأنها كانت أبدع المظلات وأكثرها زخرفاً وترصيعا .

(٢) كان من آلات المواكب فى الخلافة الفاطمية بمصر قضيب سماه صاحب صبح الأعشى بقضيب الملك وقال إنه « عود طوله شبر ونصف ملبس بالذهب المرصع بالدر =

جلوساً وركوباً . قال ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية : « كان الخليفة يلبسها يوم العيد عَلَى كتفيه ويأخذ القضيب المنسوب إليه صلى الله عليه وسلم فى إحدى يديه ، فيخرج وعليه من السكينة والوقار ما يصدع القلوب ويبهر الأبصار » اهـ . وبلغ من عنايتهم بهذين الأثرين الشريفين أنهم كانوا كلما قام منهم خليفة اهتم بهما اهتمامه بالبيعة ، فإذا كان غائباً بعثوا بهما إليه مع بشير الخلافة الذى يبردونه . وما زالت الشعراء تذكرهما فى مدائح الخلفاء العباسيين إلى انقراض دولتهم من العراق تنويهاً بانفرادهم عن سائر الدوَل بهذه المنقبة ، كقول البحترى من قصيدة يصف فيها خروج المتوكل للصلاة والخطبة يوم عيد الفطر :

أُيِّدْتَ من فصل الخطاب بحكمة ... تُنبى عن الحق المبين وتخبر

وَوقفت فى بُرد النبى مذكراً ... بالله تُنذرُ تارةً وَتُبشِّر

حتى لقد علم الجهول وأخلصت ... نفس المُرَوِّى وَاهتدى المتحيِّر[1]

=والجوهر يكون بيد الخليفة فى المواكب العظام » انتهى . وكأنهم أرادوا به محاكاة شارة العباسيين ، وشتان ما بين التكحل والكحل .

(١) هذه القصيدة من أجود شعر البحترى ولكن قضى عليها سوء الحظ أن يختارها اليسوعيون لكتابهم مجانى الأدب (ج ٥ ص ١٦١ طبع سنة ١٨٨٤ م) فيغيروا فيها ما شاء لهم الهوى أن يغيروه ، فإنهم لما ذكروا قوله فى وصف احتشاد الناس والجند وخروج الخليفة عليهم فى ذهابه إلى المصلى :

فالخيل تصهل والفوارس تدعى ... والبيض تلمع والأسنة تزهر

والأرض خاشعة تميد بثقلها ... والجو معتكر الجوانب أغبر

والشمس ماتعة توقد بالضحى ... طوراً ويطفئها العجاج الأكدر

حتى طلعت بضوء وجهك فانجلت ... تلك الدجى وانجاب ذاك العثير

وافتن فيك الناظرون فإصبع ... يومى إليك بها وعين تنظر =

وقوله من أُخرى فيه :

وعليـك من سيما النبـ ـىّ مخايل شهدت برشدك
تبـدو عليـك إذا اشتمـ ـت ببردة من فوق بردك

وقوله من أخرى فيه أيضاً :

وغدوت فى برد النبي وهديه تخشى لحكم قاصـد وَتُؤمَّل

وقوله فيه أيضاً — وقد ذكر آثاراً أخرى كانت عند الخلفاء سنفرد الـكلام عليها : —

يتـولى النبيُّ ما تـولا هُ وَيرضى من سيرةٍ ما تسير
حزت ميراثهُ بحقٍّ مبـين كل حق سواه إفكٌ وَزور
فلك السـيف والعمامة والخا تم والبرد والعصـا والسرير

يريد بالعصا : القضيب وقوله فيه أيضاً :

عليك ثيـاب المصـطفى وَوقاره وأنت به أولى إذا حصحص الأمر
عمـامته وسـيفه ورداؤه وسيماه والهدى المشاكل والنجر

وقال من قصيدة يمدح بها المعتزّ بن المتوكل ، ويهجو المستعين بعد خلعه :

ولم يكن المغـترّ بالله إذ سَرى ليُعجِزَ والمعـتزُّ بالله طالبُـه
رمى بالقضيب عنوة وهو صاغر وعُرّى من بردِ النبي مناكبه

═ يجدون رؤيتك التى فازوا بها من أنعم الله التى لا تـكفر
ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا

عز عليهم أن يذكر سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ويذكر معه خليفته وابن عمه فجعلوا صدر هذا البيت (ذكروا بطلعتك الرشـيد فهللوا) ولما وصلوا إلى بيت البردة جعلوه (ووقفت فى برد الخطيب مذكراً) فليتنبه لذلك ، فإن كثيرين من النشء يثقون بكتبهم ، فيقعون فيما حرفوه وبدّلوه .

وذكر ابن خلّكان فى وفياته عن ميمون بن هرون أنه قال : رأيت أبا جعفر أحمد بن يحيي بن جابر بن داود البلاذرى المؤرخ وحاله متماسكة فسألته فقال : كنت من جلساء المستعين فقصده الشعراء فقال : لست أقبل إلا ممن قال مثل قول البحترى فى المتوكل :

فلو أنَّ مشتاقًا تكلّفَ فوق مَا فى وُسْعِهِ لسعَى إليك المنبر

فرجعتُ إلى دارى وأتيته ، وقلت له : قد قلت فيك أحسن مما قاله البحترى فى المتوكل فقال : هاته ! فأنشدته :

ولو ان برد المصطفى إذْ لبسته يظن لظن البرد أنك صاحبه

وَقال وَقد أُعطيتهُ وَلبسته نعم هذه أعطافه وَمناكبه

فقال : ارجع إلى منزلك وافعل ما آمرك به ، فرجعت فبعث إلىَّ بسبعة آلاف دينار وقال : ادخر هذه للحوادث من بعدى ، ولك عَلَىَّ الجراية الكفاية ما دمت حياً اهـ(١).

ومن ذلك قول الأبيوردى من قصيدة فى المقتدى بالله :

إلى المقتدى بالله والمقتدى به طوين بنا طىّ الرّداء الفيافيا

وَلُذنا بأطراف القوافى وَحسبنا من الفخر أن نهدى إليه القوافيا

وَلم نتكلف نظمهن لأننا وَجدنا المعالى فاخترعنا المعانيا

أيا وَارث البرد المعظم ربّه بلغنا المُنى حتى اقتسمنا التهانيا

(١) أورد عبد الرحيم العباسى البيتين والقصة ببعض اختصار فى نوع الغلو من معاهد التنصيص ، ومثله فى فوات الوفيات لابن شاكر .

وقوله من قصيدة فى المستظهر بن المقتدى :

وَعليه من سيماء آل محمَّد ... نُورٌ يجيرُ عَلَى الدجى مرموق
وَالبرد يعلم أن فى أثنائه ... كرماً يفوق المزن وَهو دفوق
أفضت إليه خلافة نبوية ... من دونها للمشرفىّ بريق

وقول الأرّجانى من قصيدة فى المسترشد بن المستظهر :

وَرثتَ الذى قد ضمهُ البرد من تقى ... ومن كرم من قبل أنْ ترث البردا
ووليت من أمر[1] القضيب شبيه ما ... تولاه من كان المشير به مجدا
وَما هو إلا أمر أمته الذى ... إليك انتهى إذ كنت من بينها فردا

وقوله من أخرى فيه :

يا وارث البرد المجرَّر ذيله ... فى ليلة المعراجِ فوْق الفرقد
ومعوّداً يده التخصّر بالذى ... أمسى به ظهر البراق وقد حدى
سَلَبا هدى عبق النبوة فيهما ... من كف خير الأنبياء محمد[2]

وقول سبط ابن التعاويذى من قصيدة فى المستضىء بن المستنجد :

إن يدَ المستضىء أسمح بالإعـ ... ـطاء يوم النَّدى من الديَمِ
خليفة الله وَارث البرد والخا ... تم والسيف مالك الأمم
معيد شمل الإسلام ملتئما ... وكان لولاه غير ملتئم[3]

---

(١) كذا فى نسخة مخطوطة عتيقة عندنا من ديوانه . والذى فى المطبوعة (ملك)

(٢) عولنا فيها على ما فى النسخة العتيقة لأنها أصح من المطبوعة .

(٣) يشير بذلك إلى زوال الدولة الفاطمية فى زمن المستضىء ، وإعادة الخطبة لبنى العباس بمصر والشام والحجاز واليمن وبرقة .

وقوله من أخرى فيه :

آل النبوة بردها وَقضيبها لكم وَمنبرها معاً وَحُسامها
أبناء عم المصطفى الهادى وخير عصابة وطىء الثرى أقدامها

وقوله من أخرى فى الناصر بن المستضىء لما بويع بالخلافة :

وَرأينا برد النبي عَلَى منكب طود من الأئمة راسى
مالئاً هديه المواقف من نور جلال يضىء كالنبراس

وقوله من أخرى :

ورث النبوة منبراً وَخلافة وَتقيَّة[1] فعليه منها ميسم
فامنكب ولعاتق ولخنصر منهُ ثلاث قدرهن معظم
برد وَسيف لا يفل وَخاتم فجلببٌ ومُقلد وَمختم

وقوله من أخرى فيه :

له خاتم المبعوث أحمد خاتم النبوة موروثاً مع السيف والبرد[2]
وَما برحت طير الخلافة حُوَّماً عليه كما حام الظماء عَلَى الوِرد

صفة البردة

فى الكلام على شعار الخلافة من صبح الأعشى نقلا عن ابن الأثير أن بردة النبي صلى الله عليه وسلم التى كان الخلفاء يلبسونها فى المواكب كانت شملة مخططة . وقيل : كانت كساء أسود مربعاً فيها صغر اهـ .

---

(١) كذا فى نسختين من ديوانه إحداها مخطوطة .

(٢) أى له الخاتم موروثاً مع السيف والبرد من النبي المبعوث خاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى : « أخرج الإمام أحمد فى الزهد عن عروة ابن الزبير رضى الله عنه أن ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان يخرج فيه للوفد رداء حضرمى طوله أربع أذرع وعرضه ذراعان وشبر ، فهو عند الخلفاء قد خلق وطووه بثياب تلبس يوم الأضحى والفطر » اهـ .

اختلافهم فيها

لا خلاف بين المؤرخين فى كون البردة العباسية أثراً نبوياً صحيحاً ، ولكن لما كان المخلف عن النبى صلى الله عليه وسلم بردتين اختلفوا فى التى صارت منهما لبنى العباس . قال الإمام الماوردى فى الأحكام السلطانية : « وأما البردة فقد اختلف الناس فيها ، فحكى أبان ابن ثعلب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وهبها لكعب بن زهير واشتراها منه معاوية رضى الله عنه ، وهى التى يلبسها الخلفاء . وحكى ضمرة ابن ربيعة أن هذه البردة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاها أهل أيلة أماناً لهم ، فأخذها منهم سعيد بن خالد بن أبى أوفى ، وكان عاملا عليهم من قِبَل مروان بن محمد ، فبعث بها إليه وكانت فى خزائنه حتى أخذت بعد قتله . وقيل اشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار » اهـ . وقد حُكى هذا الخلاف فى صبح الأعشى وتاريخ الخلفاء للسيوطى وأخبار الدول للقرمانى وحاشية البغدادى على شرح ابن هشام على بانت سعاد .

وتفصيل هذا الإجمال فى الرأى الأول : أن كعب بن زهير بن أبى سُلمى رضى الله عنه لما بلغه إسلام أخيه بُجَيْر غضب وبعث إليه بأبيات يلومه

فيها على إسلامه ، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه . ثم هداه الله إلى الإسلام فقدم المدينة وقصد المسجد فجلس بين يدى النبي صلى الله عليه وسلم تائباً مسلماً وأنشده قصيدته بانت سعاد المشهورة ، فلما وصل إلى قوله :

إن الرسولَ لسيفٌ يُستضاء به مهنَّد من سيوف الله مسلول

رمى صلى الله عليه وسلم إليه بردة كانت عليه[1] ، فلما كان زمن معاوية رضى الله عنه أراد شراءها من كعب بعشرة آلاف درهم ، فأرسل إليه يقول : ما كنت أوثر بثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً . فلما مات كعب اشتراها معاوية من أولاده بعشرين ألف درهم . قالوا : وهى التى عند الخلفاء العباسيين . وهو قول عز الدين بن الأثير فى كتابيه : الكامل وأسد الغابة ، والخوارزمى فى مفاتيح العلوم ، وابن هشام فى شرح بانت سعاد ، وأبى الفداء سلطان حماة فى تاريخه ، وابن حجر فى الإصابة ، ومؤرخين غيرهم كثيرين .

ولم يذكر ابن كثير فى تاريخه البداية والنهاية غير الرأى الثانى فقال : « قال الحافظ البيهقى : وأما البردة التى عند الخلفاء فقد روينا عن محمد ابن إسحق بن يسار فى قصة تبوك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى أهل أيلة بردة مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ، فاشتراها أبو العباس عبد الله بن محمد بثلثمائة دينار ، يعنى بذلك أول خلفاء بنى العباس ، وهو

(١) قال البغدادى فى حاشيته على شرح ابن هشام على بانت سعاد : « ولهذا تسمت هذه القصيدة قصيدة البردة . وقد سمى الناس قصيدة البوصيرى بقصيدة البردة تشبيهاً بها للتبرك ، والصواب تسميتها بالبرءة بالهمز لبرء ناظمها من الفالج » .

السفاح رحمه الله تعالى . وقد توارث بنو العباس هذه البردة خلفاً عن سلف » وهو قول الذهبي أيضاً على ما فى تاريخ الخلفاء للسيوطى ونص عبارته : « وأما الذهبي فقال فى تاريخه : أما البردة التى عند الخلفاء آل عباس فقد قال يونس بن بكير عن ابن إسحق فى قصة غزوة تبوك : إن النبي صلى الله عليه وسلم أعطى أهل أيلة بردة مع كتابه الذى كتب لهم أماناً لهم ،فاشتراها أبو العباس السفاح بثلثمائة دينار » . قال السيوطى : فكأن التى اشتراها معاوية فقدت عند زوال دولة بنى أمية . وقال القرمانى : وقيل كُفن فيها معاوية . وذكر ياقوت هذه البردة فى معجم البلدان ولم يتعرض لخبر انتقالها إلى الخلفاء فقال فى كلامه على أيلة : « ويقال إن بها برد النبي صلى الله عليه وسلم ،وكان وهبه ليُحَنَّة بن رؤبة[1] لما سار إليه إلى تبوك » . وكذلك فعل المقريزى فى خططه والجزيرى فى درر الفرائد المنظمة فى ذكرها أيلة فإنهما لم يتعرضا لخبر انتقال هذه البردة إلى الخلفاء . وخلاصة ما ذكراه أن من بها من اليهود يزعمون أن عندهم برد النبي صلى الله عليه وسلم الذى وجه به إليهم أماناً لهم، وأنهم يظهرونه رداء عدنياً ملفوفاً فى الثياب ، وقد أبرز منه مقدار شبر لئلا تدنسه الأيدى .

والخلاصة : أن البردة العباسية إما أن تكون بردة أيلة بقيت عند أهلها إلى أن اشتراها السفاح بثلثمائة دينار ، أو إلى أن انتزعها منهم عامل مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين وحملها إليه ، ثم صارت من بعده

---

(١) يحنة بضم اليـاء وفتح الحاء المهملة ثم نون مشددة مفتوحة ثم تاء وهو صاحب أيلة ، ورؤبة بالباء الموحدة .

للعباسيين . وإما أن تكون البردة الكعبية التي اشتراها معاوية رضي الله عنه ، ثم حفظت عند بنى أمية حتى ورثها منهم العباسيون . وأكثر المؤرخين على هذا الرأى . وقد فصل المسعودى فى مروج الذهب خبر مصير البردة والقضيب إلى بنى العباس بما لم نره لغيره من المؤرخين ، فذكر ما كان من فرار مروان بن محمد من العباسيين إلى مصر ، وأنهم لحقوه بها ، وقد نزل بوصير فهجموا عليه وقتلوه ، ثم رأوا خادماً له شاهراً سيفه يحاول الدخول إلى بناته ، فأخذوه وسألوه عن أمره ، فقال : أمرنى مروان إذا هو قُتل أن أضرب رقاب بناته ونسائه ، فلا تقتلونى فإنكم والله إن قتلتمونى ليفقدن ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقالوا له : انظر ما تقول ، قال : إن كذبت فاقتلونى ، هلموا فاتبعونى . ففعلوا فأخرجهم من القرية إلى موضع رمل فقال : اكشفوا هنا فكشفوا فإذا البرد والقضيب ومِخْصرة[1] قد دفنها مروان لئلا تصل إلى بنى هاشم ، فوجه بها عامر بن إسمعيل إلى عبد الله بن على ، فوجه بها عبد الله إلى أبى العباس السفاح ، فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس .

مصير البردة والقضيب

ذكر ابن الزيات فى الكواكب السيارة فى ترتيب الزيارة بالقرافتين الكبرى والصغرى قبراً اشتهر بأنه قبر صاحب البردة ، واستطرد فى الكلام عليه لذكر البردة النبوية فقال : « قال ابن عثمان هو صاحب

---

(١) فى النسختين الباريسية والبولاقية من مروج الذهب (ومخصر) بغير تاء .

البردة يعنى بردة النبى صلى الله عليه، وسلم وذلك غير صحيح، قال المؤلف: وبردة النبى صلى الله عليه وسلم لم يبلغنا فى آثار النبى صلى الله عليه وسلم التى دخلوا بها إلى مصر أن فيها بردة غير البردة التى فى أيدى بنى العباس، وهى موجودة عندهم إلى الآن، ولم يذكر علماء التاريخ أنه دخل إلى مصر من الصحابة ممن له بردة من اسمه صاحب البردة. وآثار النبى صلى الله عليه وسلم مثبتة عند العلماء، ويحتمل أن تكون هذه البردة بردة رجل من الصالحين » اهـ. وإنما نقلنا هذه العبارة لبيان ما فيها من الوهم، فإن وفاة ابن الزيات كانت سنة ٨١٤، وقوله عن البردة: « وهى موجودة عندهم إلى الآن » يفيد بقاءها بأيديهم إلى عصره، والصحيح أنها فقدت قبل ذلك بقرن ونيف. ولعله نقل هذا القول عن مؤرخ قديم كانت البردة فى زمنه عند الخلفاء، وسها عن التنبيه عليه.

وقال المسعودى بعد عبارته المتقدمة فى مصير البردة والقضيب إلى العباسيين ما نصه: « فتداولت ذلك خلفاء بنى العباس إلى أيام المقتدر، فيقال: إن البرد كان عليه يوم مقتله، ولست أدرى أكلّ ذلك باق مع المتقى لله إلى هذا الوقت وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة فى نزوله الرَّقة أم قد ضيع ذلك ». وفى صبح الأعشى: « وكان القضيب والبردة المتقدما الذكر عند خلفاء بنى العباس ببغداد إلى أن انتزعهما السلطان سنجر السلجوقى[1] من المسترشد بالله ثم أعادهما إلى المقتفى عند ولايته سنة خمس

(١) سنجر بن ملكشاه السلجوقى سلطان خراسان وغزنة وما وراء النهر. ولد سنة ٤٧٩ وتوفى سنة ٥٥٢ بمرو ودفن بها وهو بكسر السين وسكون النون وفتح =

وثلاثين وخمسمائة . والذى يظهر أنهما بقيا[1] عندهم إلى انقضاء الخلافة من بغداد سنة ست وخمسين وستمائة ، فإن مقدار ما بينهما مائة وإحدى وعشرون سنة ، وهى مدة قريبة بالنسبة إلى ما تقدم من مدتهما » .

وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى عن البردة : « وكانت على المقتدر حين قتل وتلوثت بالدم ، وأظن أنها فقدت فى فتنة التتار . فإنا لله وإنا إليه راجعون »

وفى خزانة الأدب للبغدادى عن كعب بن زهير : « فأمنه النبى صلى الله عليه وسلم وأجازه بردته الشريفة التى بيعت بالثمن الجزيل ، حتى بيعت فى أيام المنصور الخليفة بمبلغ أربعين ألف درهم[2] ، وبقيت فى خزائن بنى العباس إلى أن وصل المغول[3] وجرى ما جرى والله أعلم بحقيقة الحال »

قلت: والذى يؤيد بقاء البردة والقضيب عند الخلفاء إلى آخر مدتهم ببغداد ورود ذكرهما فيما تقدم من مدائح الشعراء إلى زمن الناصر بن المستضىء وذكر السيوطى فى تاريخ الخلفاء عن ابن الساعى أنه حضر مبايعة الخليفة

= الجيم . وسبب تسميته بذلك أنه ولد بمدينة سنجار فسماه والده بذلك أخذاً من اسم المدينة . والسلجوقى بفتح السين وسكون اللام وضم الجيم وسكون الواو وبعدها قاف ، نسبة لجده الأعلى سلجوق بن دقاق (بضم الدال المهملة وبين القافين ألف وقد يقال تقاق بالتاء) .

(١) فى الأصل (أنها بقيت) .

(٢) المعروف أن الذى اشترى البردة الكعبية معاوية رضى الله عنه ، والذى اشترى البردة الأيلية أبو العباس السفاح فى قول كما تقدم ، فذكر البغدادى المنصور سهو منه . والله أعلم .

(٣) المغول بضمتين قوم هلاكو ، وقد يقال المغل بلا واو . وهم من القبائل التورانية ويعدهم بعض المؤرخين من التتار ، والأكثرون على أنهما جنسان متقاربان ، وإنما غلب التعبير عنهم بالتتار فى التواريخ العربية لأنهم استخدموا فى غزوهم بلاد الإسلام كثيراً من التتار فى جيوشهم .

الظاهر وهو ابن الناصر المذكور فرآه بثياب بيض والبردة النبوية عَلَى كتفه ، وكانت خلافته سنة ٦٢٢ فى أواخر أيام دولتهم ببغداد ، ولم يكن بعده غير خليفتين المستنصر والمستعصم ، ثم كانت كائنة التتار وانتقلت الخلافة العباسية الصورية إلى مصر . وقد صرح القرمانى فى موضعين من تاريخه أخبار الدول بمصير البردة والقضيب ، فذكر أن هلاكو[1] لما طرق بجيوشه بغداد سنة ٦٥٦ أشار وزير الخلافة مؤيد الدين العلقمى عَلَى الخليفة المستعصم بالخروج إليه ومصالحته ، فخرج إليه فى جمع من العلماء والأعيان، والبردة النبوية على كتفيه والقضيب بيده ، فأخذهما منه هلاكو وجعلهما فى طبق من نحاس وأحرقهما وذر رمادهما فى دجلة ، وقال : ما أحرقتهما استهانة بهما وإنما أحرقتهما تطهيراً لهما . اهـ . ثم أمر بقتل جميع من خرج إليه فقُتلوا ، ووُضع الخليفة وولده فى جُوالقين وضربا بالأرازبّ ومداقّ الجص حتى ماتا . وفى هذه الكائنة التى لم ينكب الإسلام بمثلها يقول ابن خلدون : ونزل هلاكو بغداد وخرج إليه الوزير مؤيد الدين ابن العلقمى فاستأمن لنفسه ورجع بالأمان إلى المستعصم وأنه يبقيه على خلافته كما فعل بملك بلاد الروم ، فخرج المستعصم

---

(١) هلاكو بضم الهاء وتخفيف اللام وضم الكاف وقد يقال هولاكو بواو بعد الهاء : أول الملوك الايلخانية بفارس . وهو ابن تولى خان ابن طاغية المغول الأكبر جنكيز خان أرسله أخوه منكوقا آن ملك المغول إلى فارس ففتحها وتولى أمرها ثم استولى على العراق وكان منه ما كان إلى أن هلك بالمراغة سنة ٦٦٣ كما فى التواريخ التركية وتاريخ ابن الفرات . والذى فى المنهل الصافى سنة ٦٦٤ . وقال ابن خلدون سنة ٦٦٣ .

ومعه الفقهاء والأعيان ، فقبض عليه لوقته وقتل جميع من كان معه ، ثم قتل المستعصم شدخاً بالعُمُد ووطأ بالأقدام لتجافيه بزعمه عن دماء أهل البيت وذلك سنة ست وخمسين ، وركب إلى بغداد فاستباحها واتصل العبث بها أياماً ، وخرج النساء والصبيان وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح فداستهم العساكر وماتوا أجمعين ويقال إن الذى أحصى ذلك اليوم من القتلى ألف ألف وستمائة ألف[1] . واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يبلغه الوصف ولا يحصره الضبط والعدّ ، وألقيت كتب العلم التى كانت بخزائنهم جميعاً فى دجلة ، وكانت شيئاً لا يعبر عنه مقابلة فى زعمهم بما فعله المسلمون لأول الفتح فى كتب الفرس وعلومهم » اهـ كلام ابن خلدون .

(تنبيه) روى القرمانى فى أخبار الدول خبر البردة الكعبية وبقائها عند بنى العباس إلى أن أحرقها هلاكو مع القضيب كما مر ، ثم حكى قول من خالف وزعم أن التى كانت عندهم بردة أيلة لا بردة كعب ، وأعقب هذا القول بقوله : « وأظن أنها البردة التى وصلت لسلاطين آل عثمان ، فهى اليوم عندهم يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله ، واتخذ لها المرحوم السلطان مراد خان تغمده الله بالرحمة والغفران صندوقاً

---

(١) أعاد ابن خلدون خبر هذه الكائنة فى كلامه على دولة بنى هلاكو فقال : إن عدد القتلى كان « ألف ألف وثلاثمائة ألف » . والذى يذكره مؤرخو الترك مع تشيعهم لهلاكو وإحسانهم الظن به أن عدد الذين قتلهم فى هذه الوقعة من أهل بغداد البالغين خاصة بلغ ٨٠٠ ألف نسمة . فإذا ضممنا إليهم قتلى الجيش المجموع من المملكة العراقية الذى أباده قبل أن يصل إلى أهل بغداد ثم قتلى الصبيان غير البالغين الذين داستهم سنابك الخيل وعلى رؤوسهم المصاحف والألواح ظهر لنا أن عبارة ابن خلدون التى صدرها بكلمة (ويقال) ليست بعيدة عن الصواب .

من ذهب زنته   [1] مثقال فوضعها فيه تعظيما لها » . اهـ . ولا يخفى أن بنى العباس لم يكن عندهم غير بردة واحدة أحرقها هلاكو سواء كانت بردة كعب أو بردة أيلة . والذى ظنه المؤلف لا يتجه إلا بتقدير جمعهم بين البردتين وانتقال الأيلية إلى بنى عثمان بعد إحراق هلاكو للكعبية ، وهو شىء لم يقل به ولم ينقله فيما نقله من الأقوال حتى يصح له بناء ظنه عليه . وسيأتى الكلام على ما كان عند بنى عثمان من الآثار فى فصل خاص .

(١) بياض بمقدار كلمة فى النسخ الثلاث التى عندنا من هذا التاريخ .

المنبر والسرير
والخاتم والعمامة والسيف

تقدم فى مدائح الشعراء للخلفاء العباسيين ذكر آثار نبوية كانت فى حيازتهم غير القضيب والبردة ، وهي المنبر والسرير والخاتم والعمامة والسيف . وإلى القراء الكرام ما وقفنا عليه وما ظهر لنا فيها :

أما المنبر : فالثابت المحقق أن منبره صلى الله عليه وسلم الذى كان يخطب عليه لم ينقل من مسجده ، وإنما كان معاوية رضى الله عنه أراد نقله إلى الشام ، وكتب بذلك إلى مروان بن الحكم عامله بالمدينة ، فلما اقتلعه كثر لغط الناس فخشى الفتنة وزاد فيه درجاً ورده ، وقال : إنما اقتلعته لأزيد فيه . فبقى فى مكانه حتى احترق باحتراق المسجد سنة ٦٥٤ . فالمراد أن بنى العباس ورثوه وهو فى مكانه لا أنه نقل إليهم بالعراق كغيره من الآثار التى نقلت إليهم . وقد كان لاحتراق هذا الأثر النبوى وقع أليم فى نفوس المسلمين ولا سيما عند ساكنى المدينة وزائريها لما فاتهم من لمس رمانته التى كان صلى الله عليه وسلم يضع يده المباركة عليها ولمس موضع قدميه الشريفتين .

وأما السرير : فلم يكن له صلى الله عليه وسلم سرير كالذى للملوك يجلس عليه للحكم فيكون من بعده للخلفاء ، وإنما كان له سرير ينام عليه قوائمه من ساج بعث به إليه أسعد بن زرارة . وفى سيرة ابن سيد الناس أن الناس من بعده كانوا يحملون عليه موتاهم تبركاً به . وقال البرهان

الحلبي فى حاشيته على هذه السيرة[1]: « قوله وكان له سرير ينام عليه ، قال السهيلى فى أول النصف الثانى من روضه[2]: وكان سريره صلى الله عليه وسلم خشبات مشدودة بالليف بيعت فى زمن بنى أمية فاشتراها رجل بأربعة آلاف درهم . قاله ابن قتيبة . اه . فيحتمل أن السرير المذكور هنا غير ما ذكره المؤلف ، وذلك لأن المؤلف قال فيه هنا : فكان الناس يحملون عليه موتاهم تبركاً . ويحتمل أنه هو ، وهو الظاهر ، والله أعلم » . اه . قلت : وهو منقطع الخبر بعد ذلك فى التاريخ ، ولم أقف فيه على غير ما ذكرت ، فليحقق أمره .

وأما الخاتم : فإن الذى كان يلبسه صلى الله عليه وسلم ويختم به كتبه إلى الملوك ونقش عليه (محمد رسول الله) كان من بعده عند الصديق ثم عند الفاروق رضى الله عنهما ، فلما كانت خلافة ذى النورين عثمان رضى الله عنه سقط من يده فى بئر أريس بالمدينة والتمسوه فلم يجدوه فاغتم لذلك غماً شديداً وتطير منه واتخذ له خاتماً على مثاله نقش عليه « محمد رسول الله » فكان يختم أو يتختم به ، ثم اتخذ الخلفاء من بعده خواتيم لكل

---

(١) اسمها عيون الأثر فى فنون المغازى والسير للحافظ محمد بن محمد اليعمرى الشهير بابن سيد الناس المتوفى سنة ٧٣٤ . وهى من أجود ما كتب فى السيرة النبوية ، واختصرها مؤلفها فى جزء صغير سماه نور العيون فى سيرة الأمين المأمون . وعلى الأصل حاشية اسمها النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين إبراهيم الحلبي الشهير بالبرهان الحلبي وبسبط ابن العجمى المتوفى سنة ٨٤١ .

(٢) هو الروض الأنف للامام العلامة عبد الرحمن السهيلى المتوفى سنة ٥٨١ وهو شرح على السيرة النبوية لابن هشام ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٣٢ فى جزءين .

خاتم نقش يخصه إلى انقراض الخلافة من بغداد على ما أجمع عليه المؤرخون. غير أن المحكىّ فى كتب السيرة من اختلاف الروايات فى صفة الخاتم حمل ابن سيد الناس على أن يقول فى سيرته باحتمال أن تكون خواتم متعددة. قلت: وعلى هذا فيحتمل أن يكون أحدها وصل إلى بنى العباس فحفظوه تبركاً به وتشرفاً، وإن كان لكل خليفة منهم خاتم يختم به، عليه نقش يخصه.

وأما العمامة: فهى المسماة بالسحاب، وكان صلى الله عليه وسلم وهبها لعلى عليه السلام، ثم صارت بعد ذلك لبنى العباس، وصرح باسمها البحترى فى قوله فى المهتدى بالله:

غدا المهتدى بالله والغيث ملحق ... بأخلاقه أو داخل فى عدادها
إمام إذا أمضى الأمور تتابعت ... على سَنَنٍ من قصدها وسدادها
متى يتعمم بالسحاب تلث على ... كفىء لها محتاز إرث اسودادها

قال أبو العلاء المعرى فى عبث الوليد عن هذا البيت: «المعنى أن بنى العباس كان عندهم برد النبى وعمامته وأصحاب الأخبار يروون أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يسمى عمامته السحاب وكذلك رووا أسماء للآلة التى كان يستعملها، فزعموا أن مقصه كان يسمى «الجامع» وقضيباً كان له يأخذه فى يده: المشوق، وكان له قدح من خشب يسمى النسعة[1] فيما ذكروا، ونحو هذه الأشياء» اهـ.

---

(١) عبارة الحافظ مغلطاى فى سيرته: «وقعب يسمى النسعة».

وأما السيف : فالمراد به ذو الفقار[1] وهو سيف كان للعاص ابن منبه السهمى الذى قتل كافراً يوم بدر ، فغنمه النبى صلى الله عليه وسلم وكان لا يفارقه فى حرب من حروبه ، وسمى بذلك لحزوز مثل فقرات الظهر كانت فى وسطه، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وعلاقته من فضة . وملخص ما ذكره ابن خلكان وابن الأثير عن وصوله إلى بنى العباس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان وهبه لعلى عليه السلام ثم صار لبنيه ، وكان مع محمد ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليه لما خرج بالمدينة على أبى جعفر المنصور ، فلما رمى بسهم فى قتاله مع جند المنصور وأيقن بالموت أعطاه لرجل من التجار كان له عليه أربعمائة دينار وقال : خذه فإنك لا تلقى أحداً من آل أبى طالب إلا أخذه وأعطاك حقك . فلما ولى جعفر بن سليمان العباسى على المدينة اشتراه منه بأربعمائة دينار، ثم أخذه منه المهدى ، ثم صار من بعده للهادى ثم للرشيد ، ورآه الأصمعى وهو متقلد به بطوس فقال : يا أصمعى ألا أريك ذا الفقار ؟ قال : فقلت بلى جعلنى الله فداك . قال : فاستل سيفى هذا . فاستللته فرأيت فيه ثمانى عشرة فقارة . ويروى أن الرشيد أعطاه ليزيد بن مَزْيد لما خرج لقتال الوليد بن طريف . اهـ. وإذا صح هذا فلا ريب فى أن الخلفاء استردوه منه أو من ورثته لأنه كان بعد ذلك عند المعتز بن المتوكل وذكره البحترى فى قوله من قصيدة يمدحه بها :

وقد ترك العباس عندك وابنه ... عُلَى قُتْنَ مرمى النجم حيث تحيرا

---

(١) بفتح أوله وكسره .

هما وَرَّثاكَ ذا الفقار وصيّرا   إليك القضيب والرداء المحبرا

ثم صار من بعده للمهتدى بالله وفيه يقول البحترى أيضاً من قصيدة :

وإن يتقلد ذا الفقار يُضَفْ إلى   شجاع قريش فى الوغى وجوادها

وفى خبر آخر رواه المقريزى فى خططه أن ذا الفقار وصمصامة[1] عمرو بن معدى كرب الزبيدى وسيف الإمام الحسين عليه السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب وسيف جعفر الصادق رضى الله عنهما وسيوفاً أخرى لبعض الخلفاء الفاطميين كانت بخزانة السلاح الفاطمية بمصر ، ثم نهبت وقسمت على الأمراء الذين ثاروا على المستنصر الفاطمى كبنى حمدان وشاور وغيرهم . اهـ . فإن صح أن ذا الفقار كان منها كما ذكر فيحتمل أن يكون وصل إلى الفاطميين بالشراء من بعض تجار العراق بعد زمن المهتدى ، كما يحتمل أن يكون عاد إلى العباسيين بعد نهب خزانة السلاح الفاطمية . والله سبحانه وتعالى أعلم .

---

(١) الصمصامة بكسر فسكون ويقال الصمصام أيضا بلا تاء فى آخره سيف قاطع مشهور له أخبار يطول ذكرها وكان لعمرو بن معدى كرب الزبيدى ، وذكره بعض أصحاب السير فيما صار إلى النبى صلى الله عليه وسلم من السيوف ، والأكثرون على أن عمراً أهداه إلى خالد بن سعيد بن العاص ثم وصل بعد ذلك إلى المهدى العباسى ثم صار لابنه الهادى ثم للرشيد . وفى الكامل لابن الأثير ما يدل على بقائه عندهم إلى زمن الواثق . وفى أخبار المتوكل أنه كان عنده فدفعه إلى باغر التركى فقتله باغر به لما غدر به الأتراك . قال ابن نباتة فى سرح العيون : ومن عند باغر انقطع خبره . قلت : ثم انتقل بعد ذلك إلى الفاطميين بمصر حتى نهبت خزانة سلاحهم على ما ذكره المقريزى إن صح أنه كان بهذه الخزانة .

الآثار النبوية فى مصر

بمصر آثار نبوية مشهورة محفوظة فى حجرة خاصة بالمسجد الحسينى بالقاهرة تقصد بالزيارة فى أيام معلومة . ولهذه الآثار الشريفة أخبار تتسلسل فى التواريخ ، وتنتقل بالباحث من زمن إلى زمن ومن مكان إلى مكان ، حتى تصل به إلى مستقرها المحفوظة به الآن . وأول ماعرف عنها أنها كانت عند بنى إبراهيم بينبع ، واستفاض أنها بقيت موروثة عندهم من الواحد إلى الواحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم اشتراها فى القرن السابع أحد بنى حِنّا[1] الوزراء الأماثل ونقلها إلى مصر وبنى لها رباطاً على النيل عرف برباط الآثار ، وهو المعروف الآن بجامع أثر النبي . وفى هذا الرباط يقول المقريزى فى خططه مانصه :

رباط الآثار : هذا الرباط خارج مصر بالقرب من بركة الحبش مطل على النيل ومجاور للبستان المعروف بالمعشوق . قال ابن المتوج : هذا الرباط عمره الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ولد الصاحب بهاء الدين علىّ ابن حِنا بجوار بستان المعشوق ، ومات رحمه الله

---

(١) بنو حنا من الأسر العريقة فى الإسلام . واسم جدهم حنا بكسر الحاء المهملة وفتح النون المشددة على ما ضبطه المقريزى فى خططه وكأنه منقول من اسم الحناء التى يختضب بها ثم قصرته العامة على عادتها فى قصر كل ممدود . وقد يظن من لم يعرف ضبطه أنه بفتح الحاء وأنهم من الأقباط الذين أسلموا وتولوا الوزارة أو المباشرة فى مصر كبنى مكانس وبنى الجيعان وغيرهم .

قبل تكملته ، ووصى أن يكمل من ريع بستان المعشوق فإذا كملت عمارته يوقف عليه . ووصى الفقيه عز الدين بن مسكين فعمر فيه شيئاً يسيراً وأدركه الموت إلى رحمة الله تعالى ، وشرع الصاحب ناصر الدين محمد ولد الصاحب تاج الدين فى تكملته فعمر فيه شيئاً جيداً . انتهى وإنما قيل له رباط الآثار لأن فيه قطعة خشب وحديد يقال إن ذلك من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب تاج الدين المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع ، وذكروا أنها لم تزل عندهم موروثة من واحد إلى آخر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها إلى هذا الرباط وهى به إلى اليوم يتبرك الناس بها ويعتقدون النفع بها ، وأدركنا لهذا الرباط بهجة وللناس فيه اجتماعات ولسكانه عدة منافع ممن يتردد إليه أيام كان ماء النيل تحته دائماً ، فلما انحسر الماء من تجاهه[1] وحدثت المحن من سنة ست وثمانى مائة قل تردد الناس إليه وفيه إلى اليوم بقية . ولما كانت أيام الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد قلاوون قرر فيه درساً للفقهاء الشافعية وجعل له مدرساً وعنده عدة من الطلبة ولهم جار فى كل شهر من وقف وقفه عليهم وهو باق أيضاً ، وفى أيام الظاهر برقوق وقف قطعة أرض لعمل الجسر المتصل بالرباط . وبهذا الرباط خزانة كتب وهو عامر بأهله » . اهـ . وقد رأينا قبل التعرض لما ذكره غيره عن الرباط والآثار أن نأتى على ما لا بد منه فى هذا البحث من التعريف ببانيه فنقول :

---

(١) عاد النيل إليه بعد انحساره وما زال إلى اليوم يجرى بجواره ، ولكن فى مجرى صغير ، وحدثت بين هذا المجرى وبين المجرى الكبير جزيرة .

التعريف ببانى الرباط : هو ســـليل بيت الوزارة والسؤدد والوجاهة والعلم الوزير الصاحب تاج الدين محمد ابن الصاحب فخر الدين محمد ابن الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد بن سليم بن حِنا . ولد سنة ٦٤٠ وسمع من سبط السلفى وحدّث وكان له شعر جيد وانتهت إليه رئاسة عصره وكان صاحب صيانة وسؤدد ومكارم وشاكلة حسنة وبزة فاخرة وتناه فى المطعم والملبس والمسكن ونال فى الدنيا من العز والجاه مالم ينله جده الصاحب الكبير بهاء الدين بحيث إنه لما تقلد الصاحب فخر الدين ابن الخليلى الوزارة سار من القلعة وعليه التشريف إلى داره وقبل يده وجلس بين يديه ثم انصرف إلى داره . وما زال الصاحب تاج الدين على هذا القدر من العز إلى أن تقلد الوزارة سنة ٦٩٣ فلم ينجب وتوقفت الأحوال فى أيامه فصرف سنة ٦٩٤ وأعيد إلى الوزارة مرة ثانية فلم ينجح فعزل . وكانت وفاته سنة ٧٠٧ ودفن فى مقابر بنى حِنَّا بالقرافة . (ووُلد والده) الصاحب فخر الدين محمد بن بهاء الدين على سنة ٦٢٢ وناب عن والده فى الوزارة وولى ديوان الأحباش ووزارة الصحبة فى أيام الظاهر بيبرس وسمع الحديث بالقاهرة وكان له شعر جيد ودرس بمدرسة والده المسماة بالصاحبية البهائية التى كانت بمصر القديمة إلى أن توفى فى حياة والده سنة ٦٦٨ فدرس بها بعده ولده ، وتوارث بنو حنا ولاية نظرها وتدريسها إلى أن عطلت وخربت ثم هدمها بعد ذلك الأمير تاج الدين الشوبكىّ والى القاهرة ومصر سنة ٨١٨ ، ولما دُلى

الصاحب فخر الدين فى لحده قام الإمام محمد بن سعيد البوصيرى ناظم البردة وأنشد فى الجمع المحتشد بمقبرة بنى حِنَّا :

نم هنيئاً محمــد بن على ۞ بجميــل قدمت بين يديكا
لم تزل عوننا على الدهر حتى ۞ غلبتنا يد المنون عليكا
أنت أحسنت فى الحياة إلينا ۞ أحسن الله فى الممات إليكا

فبكى الناس . وكان لها محل كبير ممن حضر .

(وأما جده) فهو الوزير الصاحب بهاء الدين على بن محمد ولد بمصر سنة ٦٠٣ وتقلبت به الأحوال فى كتابة الدواوين إلى أن ولى المناصب الجليلة واشتهرت كفايته فاستوزره السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى سنة ٦٥٩ وفوض إليه تدبير المملكة فقام بأعبائها وتصرف فى أمورها بحزم وعزم وعفة عن الأموال ، حتى إنه لم يكن يقبل من أحد هدية إلا أن تكون هدية فقير أو شيخ معتقد يتبرك بما يصل من أثره ، وكان يستعين على ما التزم به من المبرات بالمتاجر . ولما مات الظاهر بيبرس أقره ولده الملك السعيد بركة على ما كان عليه مدة والده . وكانت وفاته سنة ٦٧٧ قال المقريزى : ورزئ بفقد ولديه الصاحب فخر الدين والصاحب زين الدين فعوضه الله عنهما بأولادهما ، فما منهم إلا نجيب رئيس فاضل مذكور .

عود إلى الرباط والآثار : تقدم فى عبارة المقريزى تسميته برباط الآثار وهو اسمه المشهور الذى رأيناه مذكوراً به فى كل ما وقفنا عليه من كتب التاريخ ، وسماه ابن دقماق فى كتابه الانتصار لواسطة عقد

الأمصار بالرباط الصاحبي التاجي نسبة إلى بانيه الصاحب تاج الدين ونقل عبارة ابن المتوج التي نقلها المقريزي عنه ثم بين ما به من الآثار بقوله : « قلت وهو مسجد الآثار الشريفة اشتراها الصاحب تاج الدين من الشريف (١) بمبلغ مائتين وخمسين ألف درهم وجعلها في خزانة في هذا الرباط وهي قطعة من العنزة (٢) وقطعة من القصعة ومرود وملقط ومخصف ووقف على هذا المكان بستان المعشوق » ثم قال بعد ما ذكر ما وقفه الأشرف شعبان عَلَى هذا الرباط : « قلت ذكرت مرة مسجد الآثار عند الشيخ الإمام العالم برهان الدين إبراهيم بن زُقّاعة الغزي (٣) في سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة فقال لي إني استنبطت من القرآن آية في حق الآثار وهي قوله تعالى « فانظروا إلى أثر رحمة الله » وقرئت آثار (٤) فأثر رحمة الله هو المطر ومدد النيل منه والمكان مطل على النيل

---

(١) بياض في النسخة بمقدار كلمتين ، ولا ريب في أن الساقط اسم أحد بني إبراهيم الذي اشترى منه الصاحب هذه الآثار .

(٢) العنزة بفتحتين الحربة القصيرة .

(٣) هو العالم الصوفي المعتقد صاحب الديوان توفي بالقاهرة سنة ٨١٦ ودفن خارج باب النصر ، وكان قبره مشهوراً إلى القرن الثاني عشر ، وزاره العلامة الشيخ عبد الغني النابلسي وذكره في رحلته الحقيقة والمجاز في رحلة الشام ومصر والحجاز فقال إنه بالزقاق الذي على ميمنة الخارج من باب النصر في مزار عليه باب وعلى تابوته ثوب أخضر. قلت ومازلت أبحث عنه حتى اهتديت اليه في هذا الطريق فرأيته في حالة يرثى لها من الإهمال وقد هدم المزار وزال التابوت والستر ولم يبق غير قبر حقير لاصق بالحائط لا كتابة عليه ، ولولا اعتقاد العامة فيه وقصدهم إياه بالزيارة لدرس وجهل مكانه . وزقاعة بضم الزاي وفتح القاف المشددة وبعدها ألف وعين مهملة مفتوحة وتاء .

(٤) قوله « وقرئت آثار » هي القراءة المشهورة التي كتب عليها العلامة الآلوسي =

وآثار رحمة الله هي آثار النبي صلى الله عليه وسلم بدليل قوله تعالى : « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » ولا يجتمع الأثر والآثار فى سائر الدنيا إلا بمصر خاصة ، فهذا أعظم فخر لها » .

واستطرد ابن كثير فى البداية والنهاية لذكر بعض هذه الآثار فى كلامه عما ورد فى المكحلة النبوية فقال : « وبلغنى أن بالديار المصرية مزاراً فيه أشياء كثيرة من آثار النبي صلى الله عليه وسلم اعتنى بجمعها بعض الوزراء المتأخرين فمن ذلك مكحلة وميل ومشط وغير ذلك والله أعلم » .

وذكر القلقشندى فى صبح الأعشى الرباط والآثار فى كلامه على الرُّبط التى بالفسطاط بعبارة مختصرة قال فيها : « وأما الخوانق[1] والربط فلم تعهد بالفسطاط ، غير أن الصاحب بهاء الدين بن حنا عمّر رباط الآثار الشريفة النبوية بظاهر قبلى الفسطاط واشترى الآثار الشريفة ، وهى ميل من نحاس وملقط من حديد وقطعة من العنزة وقطعة من القصعة بجملة مال وأثبتها بالاستفاضة وجعلها بهذا الرباط للزيارة» . اﻫ . وقد وهم فى قوله

= فى تفسيره ثم قال وقرأ الحرميان وأبو عمرو وأبو بكر (أثر) بالإفراد وفتح الهمزة والثاء وقرأ سلام (إثر) بكسر الهمزة وإسكان الثاء ، وقال الكشاف وقرئ أثر وآثار على الوحدة والجمع .

(١) الخوانق جمع خانقاه وقد يقال فيها خوانك وخانكاه بالكاف وهى كلمة مولدة معربة عن الفارسية وأصلها فيها بالكاف ، والمراد بها أماكن جعلت للصوفية يتخلون فيها لعبادة الله تعالى ، وكان حدوث الخوانك فى الإسلام فى حدود الأربعمائة ويعبر الأتراك عن الخانقاه بالتكية . ونقل على مبارك باشا فى كلامه على الخانقاه السرياقوسية من خططه (ج ١٠ ص ٨٧) عن حاشية ابن عابدين على الدر المختار فى الفقه ما يفيد أن الخوانك هى الزوايا الخاصة بصوفية الروم .

بهاء الدين لأن بانى الرباط ومشترى الآثار حفيده تاج الدين كما قدمنا وهو ما أجمع عليه المؤرخون . والظاهر أن الذى أوقعه فى ذلك ما اشتهر من نسبة الرباط إلى أحد بنى حنا ، فذهب ظنه وقت كتابة هذه الجملة إلى أكبرهم وأولهم فى الشهرة وهو بهاء الدين سهواً منه ، وجل من لا يسهو . وقلده فى هذا الوهم ابن إياس[1] بقوله فى حوادث تولى الظاهر بيبرس عَلَى مصر سنة ٦٥٨ ما نصه : « واستقر بالصاحب بهاء الدين بن حنا وزيراً بالديار المصرية . أقول : والصاحب بهاء الدين بن حنا هذا هو الذى بنى مكان الآثار النبوية المطل على بحر النيل واشترى الآثار الشريفة بجملة كبيرة من المال وأودعها فى ذلك المكان الذى أنشأه على بحر النيل وصارت الناس يقصدون ذلك المكان بسبب الزيارة فى كل يوم أربعاء » اهـ . غير أنه أفادنا أن زيارة هذه الآثار كانت فى تلك العصور كل يوم أربعاء .

وذكره البرهان الحلبى فى حاشيته المسماة نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس ، فقال : « وفى آخر مصر مكان عَلَى النيل مبنى محكم البنيان وله طاقات مطلة على النيل ومكان ينزل إليه وبركة من ماء النيل ومطهرة بماء النيل وفيه خزانة من خشب وعليها عدة ستور الواحد فوق الآخر وداخل

---

(١) ووهم فيه على مبارك باشا وهما آخر فى خططه ، فنسب بناءه للسلطان الملك الظاهر بيبرس وذلك فى كلامه على القرية اللاصقة له المسماة الآن (أثر النبى) ومن العجيب أنه لما تكلم عليه هنا لم يبين أنه المسجد الذى كان يسمى برباط الآثار ، ولما تكلم على الربط ذكر رباط الآثار ونقل عبارة المقريزى بنصها ولم يزد عليها شيئا مما حدث فيه بعد ذلك ، فأوهم بصنيعه هذا أنهما مكانان لاعلاقة لأحدهما بالآخر ، والحقيقة أنه مكان واحد تغير اسمه ومعالمه مع الزمن .

الخزانة علبة صغيرة من جوز فيها من الآثار الشريفة قطعة من قصعة وقطعة من العنَزة وميل من نحاس أصفر ومِخْصف صغير ومِلقط صغير لإخراج الشوك من الرجل أو غيرها ، وقد زرناه غير مرة ، وهو مكان مليح فى غاية النزاهة وما بعده إلا بساتين ، وقد زرناه مرة فرآنى الإمام جلال الدين ابن خطيب داريا الدمشقى بسوق كتب القاهرة ، فسألنى : أين كنتم؟ قلت: زرنا الآثار وكان معنا بعض الأدباء . فقال : هل نظم أحد فى ذلك شيئاً ؟ فقلت : لا . فقال : أنا زرته من أيام وكتبت فيه بيتين ، فأنشدنى ذلك ، وهما :

يا عين إن بعد الحبيب وداره ونأت مرابعه وشطّ مزاره
فلك الهنا فلقد ظفرت بطائل إن لم تَرَيْهِ فهذه آثاره

عنها انتهى كلام البرهان الحلبى ونقلناه من حاشيته المذكورة ، وقد نقله أيضاً العلامة المقَّرىّ فى فتح المتعال باختلاف يسير فى بعض الألفاظ .

ولما وصل ابن بطوطة الرحالة الشهير إلى مصر فى أوائل القرن الثامن وأراد الخروج من القاهرة إلى الصعيد للحج مر بهذا الرباط ونزل به ليلة ووصفه فى رحلته بقوله : « ثم كان سفرى من مصر عن طريق الصعيد برسم الحجاز الشريف ا، فبت ليلة خروجى بالرباط الذى بناه الصاحب تاج الدين بن حنا بدير الطين[1] وهو رباط عظيم بناه على مفاخر عظيمة وآثار

(١) دير الطين قرية على الشاطىء الشرقى للنيل جنوبى مصر القديمة وملاصقة من شمالها للقرية التى بها رباط الآثار المسماة الآن بأثر النبى . ولعل هذه لم تكن حدثت زمن ابن بطوطة ولهذا قال عن الرباط إنه بدير الطين لقربه منها . وكان بدير الطين جامع قديم غير الرباط عمره أيضاً الصاحب تاج الدين ابن حنا ووسعه بعد أن كان ضيقاً .

كريمة أودعها فيه وهي قطعة من قصعة رسول الله صلى الله عليه وسلم والميل الذى كان يكتحل به والدّرَفش[١] وهو الإشفى الذى كان يخصف به نعله ، ومصحف أمير المؤمنين على بن أبي طالب الذى بخط يده رضى الله عنه ، ويقال إن الصاحب اشترى ما ذكرناه من الآثار الكريمة النبوية بمائة ألف درهم ، وبنى الرباط وجعل فيه الطعام للوارد والصادر والجراية لخدام تلك الآثار الشريفة . نفعه الله تعالى بقصده المبارك » اهـ .

فائدة : إنما خرج ابن بطوطة إلى الصعيد لأنه أراد أن يسلك فى حجه طريق صحراء عيذاب ، كما سلكها قبله ابن جبير فى القرن السادس ، فلم يتيسر له الحج منها كما تيسر لابن جبير لفتنة كانت قائمة بعيذاب منعته من ركوب البحر منها إلى جدة ، فعاد أدراجه إلى القاهرة . وقد أقام حجاج مصر والمغرب زيادة عن مائتى سنة يسافرون إلى الحجاز من هذه الطريق فكانوا يركبون السفن فى النيل من ساحل الفسطاط إلى قوص ، ثم يعبرون هذه الصحراء عَلَى الإبل إلى عيذاب (بكسر العين المهملة أو فتحها) وهى

---

(١) الدرفش بكسر ففتح فسكون لفظة فارسية معناها الراية وعربتها العرب بالسين المهملة وقد تقال بالمعجمة كأصلها وتطلق باللغتين على العلم الكبير والعظيم من الإبل والضخم من الرجال ولم نقف على استعمالها بمعنى الإشفى إلا فى عبارة ابن بطوطة فلعلها كانت مستعملة بهذا المعنى فى عامية المغرب الأقصى فى زمنه أو فى اللغة المسماة بالشلحة (بفتح فسكون) التى تتكلم بها بعض القبائل . وأهل المغرب لايعرفون هذه اللفظة الآن وقد وردت فى شعر ابن قيس الرقيات بالسين المهملة بمعنى العلم فى قوله :

تكنه خرقة الدرفس من الشمـ ... ـس كليث يفرج الأجما

وكذلك فى قول البحترى من قصيدته فى وصف إيوان كسرى :

فاذا ما رأيت صورة أنطا ... كية ارتعت بين روم وفرس

والمنايا مواثل وأنوشر ... وان يزجى الصفوف تحت الدرفس

بلدة عَلَى بحر القُلزم المسمى الآن بالبحر الأحمر ، ثم يركبون منها إلى جُدّة سفناً تسمى الجلاب وواحدتها جلبة ، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة كانوا يردون مصر بمتاجرهم من هذه الطريق ، ولم تزل مسلكا للحجاج فى ذهابهم وإيابهم من سنة بضع وخمسين وأربعمائة إلى سنة بضع وستين وستمائة ، وذلك منذ الشدة العظيمة زمن المستنصر الفاطمى وانقطاع الحج فى البر إلى أن كسا الظاهر بيبرس الكعبة وأخرج قافلة الحاج فى البر من الطريق القديمة المسلوكة إلى أيلة وغيرها ، فقل سلوك الحجاج لهذه الصحراء واستمرت المتاجر تحمل فيها حتى بطل ذلك بعد سنة ٧٦٠ . وكان أمر هذه الجلاب غريباً لأن ألواحها لم تكن تضم بالمسامير كما فى سائر السفن ، بل كانت تخاط بأمراس تفتل من قشر جوز الهند المسمى بالنرجيل وتعمل لها قلوع من حصر منسوجة من خوص شجر المقل وهو الدوم ، وقد فصلنا الكلام عليها فى رسالة لنا فى السفن الإسلامية وأسمائها ، أعاننا الله على إتمامها .

عود إلى رباط الآثار : وذكره السيوطى فى حسن المحاضرة بما نصه : « رباط الآثار بالقرب من بركة الحبش عمره الصاحب تاج الدين ابن الصاحب فخر الدين ابن الصاحب بهاء الدين ابن حِنَّا وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء أخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بنى إبراهيم أهل ينبع . ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد إلى واحد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملها إلى هذا الرباط ، وهى به إلى اليوم يتبرك بها » . انتهى .

ولم يزل هذا الرباط عامراً مأهولاً بالمصلين والزوّار ، حتى تبدلت الدول واختلت الأحوال ، فنقلت منه الآثار الشريفة خوفاً عليها من السرّاق ، وتغيرت معالمه بتجديد بنائه . والذى وقفنا عليه من ذلك ، تجديده زمن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى عَلَى مصر سنة ١٠٧١ ، كما فى تراجم الصواعق فى واقعة الصناجق[1] ففيه أنه لما عزل وأنزلوه من القلعة صلى الجمعة يوم ١٢ شوال سنة ١٠٧٣ فى مسجد أثر النبى الذى بمصر القديمة ، وكان وسعه وجدده وبنى تحته رصيفاً لدفع ماء النيل عن بنائه ، ورتب له مائة عثمانى ، وأرصد له طيناً ، وعين به قراء ووظائف وحراساً قاطنين به وشرط النظر لمن يلى أغاوية اليكيجرية بمصر . وذكر الجبرتى فى حوادث رجب من سنة ١٢٢٤ ما نصه : « وفيه تقيد الخواجة محمود حسن بزرجان باشا بعمارة القصر والمسجد الذى يعرف بالآثار النبوية ، فعمرها عَلَى وضعها القديم ، وقد كان آل إلى الخراب » اهـ . قلت : والراجح أنه البناء الباقى إلى اليوم ، ولم يزل هذا المسجد مقام الشعائر والصلوات مقصوداً بالزيارة على قلة ، لحجر فيه يزعمون أن عليه أثر قدمه صلى الله عليه وسلم ، وليس بصحيح ، وسيأتى كلامنا عليه وعَلَى ما يماثله من الأحجار فى تتمة ملحقة بهذا الفصل . وأما القصر الذى ذكره الجبرتى فقد زال ، وبجوار المسجد الآن بعض أطلال ماثلة لعلها من بقاياه .

(١) هو فى حوادث وقعت بمصر ولم نعلم اسم مؤلفه ، وورد فى مواضع منه أنه (ابن محمود) . وكان (مرسيل) أحد العلماء الذين رافقوا جيش الفرنسيس الذى احتل مصر سنة ١٢١٣ عثر عليه بها فحمله إلى بلاده ثم سعينا فى استنساخ هذه النسخة من هذا الأصل سنة ١٣٣٨ وحفظناها بخزانتنا .

نقل الآثار الشريفة إلى قبة الغورى

تولى السلطان الملك الأشرف قانصوه الغورى عَلَى المملكة المصريه سنة ٩٠٦ وقتل بمرج دابق شمالى حلب فى قتاله مع السلطان سليم العثمانى سنة ٩٢٢ ، وهو الذى بنى المدرسة المعروفة الآن بجامع الغورى عن يمين السالك بشارع الغورية إلى باب زويلة ، وبنى أمامها عن يسار السالك القبة المنسوبة إليه ليدفن بها فلم يقدر له ذلك ، وفقدت جثته تحت سنابك الخيل فدفن فى الحظيرة المكشوفة لهذه القبة قريبه السلطان الأشرف طومان باى آخر ملوك الجراكسة بمصر الذى تولى بعده وقتله السلطان سليم سنة ٩٢٣ ، ودفن بها أيضاً على ما فى ابن إياس خوندخان تكن مستولدة السلطان الغورى المتوفاة سنة ٩٢٢ مع أولادها . ونقل على مبارك باشا فى خططه عن النزهة السنية فى أخبار الخلفاء والملوك المصرية لحسن بن حسين المعروف بابن الطولوني ، أن السلطان الغورى بنى هذه القبة للآثار النبوية وللمصحف العثمانى الذى أضافه إليها ، ونص عبارته :

« وقد جدد مولانا السلطان عزّ نصره للمصحف العثمانى الذى بمصر المحروسة بخُطّ مشهد الحسين رضى الله عنه جلداً بعد أن آل جلده الواقى له إلى التلف والعدم ، ولمكثه من زمن سيدنا عثمان إلى يومنا هذا ، فألهم الله تعالى مولانا المقام الشريف خلد الله ملكه بطلبه إلى حضرته بالقلعة الشريفة ، ورسم بعمل هذا الجلد المعظم المتناهى فى عمله لاكتساب أجره وثوابه ؛ وأن يعمل له وقاية من الخشب المنقوش بالذهب والفضة وأنواع

التحسين ، وبرز أمره الشريف بعمارة قبة معظمة تجاه المدرسة الشريفة التى أنشأها بخُط الشرابيشيين بين سوق الجملون وسوق الخُشَيْبَة[1] بمباشرة الجناب العالى الأمير تانى بك الخازندار وناظر الحسبة الشريفة ومامعها ، وأن تكون القبة المعظمة المأمور بعملها إن شاء الله تعالى مناظرة فى الحسن والإتقان لما سبق ، كما رتبها بنظره الشريف ليكون فيها ما خصها الله تعالى به من تعظيمها بالمصحف الشريف العثمانى والآثار الشريفة النبوية وغير ذلك من مصاحف وربعات » . اه .

قلت : المصحف المذكور المنسوب لذى النورين عثمان رضى الله عنه هو الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل التى كانت بدرب ملوخية[2] المعروف الآن بدرب القزازين قرب المشهد الحسينى ، وقد زالت هذه المدرسة وعفا أثرها ، وكانت بها خزانة كتب عديمة النظير تجمع عَلَى ما قيل مائة ألف مجلد . ذكر المقريزى أنها تفرقت ولم يبق منها غير هذا المصحف الذى تسميه الناس مصحف عثمان بن عفان . وقد استطرد العلامة القسطلانى فى المناقب التى ألفها للإمام الشاطبى ناظم الشاطبية لذكر هذا المصحف فى كلامه عَلَى تولى هذا الإمام الإقراء بهذه المدرسة ، فنقل عبارة

(١) تصغير خشبة ، ويعرف هذا السوق أيضاً بسوق البخانقيين وقيل له سوق الخشيبة لخشبة جعلت على بابه تمنع الراكب من الوصول إليه كما فى خطط المقريزى .

(٢) ملوخية الذى عرف به هذا الدرب رجل كان صاحب ركاب الحاكم بأمر الله الفاطمى ويعرف بملوخية الفراش وقد قتله الحاكم وباشر قتله ولعل اسمه منقول من اسم النبات الذى يطبخ ويؤكل بمصر فيكون بضم الميم واللام وكسر الخاء المعجمة وفتح المثناة التحتية المشددة .

المقريزى فى وصفه ، ثم ذكر نقله إلى قبة الغورى مع الآثار النبوية ، بعد أن ذكر تشتت كتب هذه الخزانة ، فقال : « ولم يبق منها إلا المصحف الكبير المكتوب بالخط الأول الكوفى المعروف بمصحف عثمان بن عفان ، ويقال : إن القاضى الفاضل اشتراه بنيف وثلاثين ألف دينار ، عَلَى أنه مصحف أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وكان فى خزانة مفردة بجانب المحراب من غربيه ، وعليه جلالة ومهابة ، ولم يزل بها حتى خرب ما حول المدرسة المذكورة ، وآل أمرها إلى التلاشى ، فنقله السلطان الأشرف أبو النصر قانصوه الغورى أجرى الله تعالى عَلَى يده الخيرات ، وختم أعماله بالصالحات ، كما نقل الآثار النبوية لاستيلاء السرّاق عَلَى القاطنين بمحلها ، وعدم الأمن وخوف الضياع ، إلى القبة التى أنشأها تجـــاه مدرسته الشريفة بقرب الأقباعيين[1] داخل باب

---

(١) نسبة إلى بيع الأقباع جمع قبع وهى كلمة مولدة كانت تطلق على نوع من القلانس والعرب تقول قبعة بضم القاف وفتح الباء المشددة والعين وتطلقها على خرقة تخاط كالبرنس يلبسها الصبيان . وقد ذكر المقريزى فى خططه سوق الاقباعين وقال إنه بخط تحت الربع خارج باب زويلة مما يلى الشارع المسلوك فيه إلى قنطرة الخرق إلى آخر ما ذكره ، وهو وإن كان قريبا فى الجملة من تلك الناحية فقد كان الأولى بالقسطلانى فى فى التعريف بمكان المدرسة والقبة أن يقول بالشرابيشيين كما قال ابن الطولونى فى عبارته المتقدمة . وسوق الشرابيشيين هذا ذكره المقريزى فى خططه وموضعه الآن الجزء الذى به قبة الغورى وجامعه من شارع الغورية وكانت تباع فيه الخلع وأنواع القلانس وإنما قيل له سوق الشرابيشيين نسبة لبيع الشرابيش وواحدها شربوش وهو قلنسوة تشبه التاج كأنها شكل مثلث ، ولما بطل استعمالها بقى السوق معروفا بها إلى أن زال . ولما استعمل الناس فى القرون الأخيرة القلنسوة المغربية الحمراء ذات العذبة المعروفة عند المغاربة بالشاشية سموها بالشربوش إلا أنهم أبدلوا شينه الأولى طاء فقالوا فيه طربوش ومن شاء =

زويلة والخرق[1] من القاهرة المعزية » . انتهى .

أما كون هذه الآثار التى ذكر ابن الطولونى والقسطلانى نقلها إلى القبة هى عين الآثار التى كانت بالرّباط ، فقد صرّح به الشيخ شمس الدين محمد بن أبى السرور البكرى فى الكواكب السائرة فى أخبار مصر والقاهرة ، فقال فى الباب الذى عقده لتعداد ما اختصّت به مصر وأهلها من الفضائل ما نصه : « الحادى عشر اختصاصهم بوضع الآثار الشريفة النبوية بأرضهم وبلادهم ، وهي قطعة من العَنَزَة ومرود ومخصف وقطعة من القصعة ، وضمّ إليها أشياء من آثار الأولياء . قيل إن الصاحب تاج الدين بن حِنا اشترى هذه الآثار الشريفة بستين ألف درهم ، وجعلها فى مكان بالمعشوق بالروضة[2] على شاطىء النيل معروف ، وقد نقل ذلك السلطان الغورى إلى مدفنه بالقاهرة . والله أعلم » .

فيعلم من هذا أن الآثار الشريفة نقلت من رباطها إلى هذه القبة فى أيام الغورى أى فى أوائل القرن العاشر ، غير أننا لم نقف فيما بأيدينا من النصوص عَلَى تعيين السنة التى نقلت فيها ، ويغلب عَلَى الظن أنها مذكورة فى المدة الضائعة من تاريخ ابن إياس المطبوع بمصر ، وهى من أثناء سنة ٩٠٦ ، إلى آخر سنة ٩٢١ . أما قول ابن إياس فى حوادث

= الوقوف على أصل لفظه وتاريخ حدوثه فليرجع إلى مقال لنا فى ذلك نشرناه فى صحيفة (الفتح) الصادرة فى ٥ المحرم سنة ١٣٤٥ ومجلة الزهراء ص ٢٢ سنة ١٣٤٥ .

(١) تسمى هذه الجهة اليوم بباب الخلق باللام بدل الراء .

(٢) هذا سهو منه ، فإن البستان المسمى بالمعشوق ، لم يكن بجزيرة الروضة بل بقرب بركة الحبش .

جمادى الثانية من سنة ٩٢٣ ، عن السلطان سليم : « وفيه أشيع أن السلطان سليم شاه نزل فى مركب وتوجه نحو الآثار الشريفة ، فقام عليه ريح عاصف فانقلبت به المركب فى البحر فكاد أن يغرق وأغمى عليه وما بقى من موته شيء ، وقيل إنه كان سكران لا يعى ، فكان فى أجله فسحة حتى عاش إلى اليوم » . فلا يؤخذ منه أن الآثار كانت باقية بالرباط إلى هذا العهد ، بعد ما ثبت نقلها قبل ذلك زمن الغورى ، وإنما مراده أنه ذهب للتنزه إلى الجهة المعروفة بذلك ، لأن المسجد بقى معروفاً بالآثار بعد نقلها منه .

نقلها إلى المسجد الحسينى

ظلت هذه الآثار الشريفة محفوظة بقبة الغورى مدة ثلاثة قرون ونيف إلى سنة ١٢٧٥ هـ ، ولا تخلو التواريخ من ذكرها فى هذه المدة خلال الحوادث ، فمما وقفنا عليه من ذلك قول ابن إياس فى حوادث سنة ٩٢٦ ، حينما توقف النيل عن الوفاء فى ولاية ملك الأمراء خير بك عَلَى مصر . « فلما كان يوم الأحد سادس رمضان نزل ملك الأمراء وتوجه إلى المقياس وكان قد مضى من مسرى ستة وعشرون يوماً ، فأقام ملك الأمراء فى المقياس ذلك اليوم ، وفرّقوا أجزاء الربعة عَلَى الحاضرين من الفقهاء ، فقرءوا فيها عشرين دوراً ، ثم قرءوا صحيح البخارى هناك ، وأشيع أن ملك الأمراء فرّق هناك عَلَى الفقهاء مالا له صورة وأحضر الأطفال الأيتام وفرق عليهم مبلغاً له صورة وأحضر من الآثار الشريفة القميص من المدرسة الغورية[1]

(١) هذا سبق قلم ، والصواب من القبة الغورية .

ووضعه فى فسقية المقياس وغسلوه فى الماء الذى بها ، وكثر هناك الضجيج والبكاء والتضرّع إلى اللهِ تعالى بالزيادة » .

وذكر الجبرتى فى حوادث ربيع الأول من سنة ١٢٠٣ ما نصه : « وفى عاشره أخبر بعض الناس قاضى العسكر أن بمدفن السلطان الغورى بداخل خزانة فى القبة آثار النبى صلى الله عليه وسلم ، وهي قطعة من قميصه وقطعة عصا وميل ؛ فأحضر مباشر الوقف وطلب منه إحضار تلك الآثار وعمل لها صندوقاً ووضعها فى داخل بقجة وضمّخها بالطيب ووضعها عَلَى كرسى ورفعها عَلَى رأس بعض الأتباع وركب القاضى والنائب وصحبته بعض المتعمّمين مشاة بين يديه يجهرون بالصلاة عَلَى النبى صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا بها إلى المدفن ووضعوها فى داخل الصندوق ورفعوها فى مكانها بالخزانة » .

ثم رُئى نقلها من هذه القبة فنقلت منها بسنة ١٢٧٥ هـ . ذكر عصريّنا الفاضل السيد محمود البيلاوى شيخ المسجد الحسينى والمتولى الآن شيخاً عَلَى المسجد الزينبى فى (التاريخ الحسينى) أنه سمع من شيوخ ثقات كبراء أنها نقلت من القبة إلى المسجد الزينبى ، ثم نقلت بموكب حافل إلى خزانة الأمتعة بالقلعة ، ثم نقلت منها سنة ١٣٠٤ هـ إلى ديوان الأوقاف وفى سنة ١٣٠٥ هـ نقلت إلى قصر عابدين مقرّ الخديو ، ومنه نقلت فى السنة المذكورة إلى المسجد الحسينى .

ولما عزم الخديو محمد توفيق باشا عَلَى نقلها تلك السنة أمر أن تتخذ لها خزانة بالحائط الشرقى فى المسجد الحسينى ، ثم استجلبها من ديوان الأوقاف

إلى قصر عابدين ، وأمر أن تحفظ فى شقق من الديباج الأخضر مطرّزة بسلوك الفضة المذهبة ، قيل إن زوجته الأميرة المعظمة أمينة بنت الأمير إلهامى باشا ابن والى مصر عباس باشا الكبير ، تولت تطريزها بيدها تعظيما وإجلالاً لتلك الآثار . ثم احتفل بنقلها من القصر إلى المسجد يوم الخميس الخامس والعشرين من جمادى الثانية من السنة المذكورة فى موكب فخم لم تشهد مصر مثله ، مشى فيه نحو ثلاثين ألف نسمة على أقدامهم ، واحتشد لرؤيته عَلَى جانبي الطريق نحو مائتى ألف وكان الخديو دعا فى ذلك اليوم العلماء والأعيان إلى القصر للمسير فى الموكب ، وأمر أن يسير فيه جميع مستخدمى الدواوين ، وكانت الآثار الشريفة ملفوفة فى خمس شقق من الديباج مرفوعة عَلَى أسرّة فى بهو الاستقبال الكبير وحولها مجامر البخور ، فلما تم توافد المدعوين استدعى الخديو إلى مجلسه قاضى مصر والشيخ الأكبر محمداً الأنبابى شيخ الأزهر والشيخ محمداً البناء المفتى ومن كبار العلماء الشيخ محمداً المهدى العباسى ، وكان وقتئذ معزولاً عن الأزهر والإفتاء ، ومن أبناء البيوت القديمة السيد عبد الباقى البكرى نقيب الأشراف وشيخ الصوفية ، والسيد عبد الخالق السادات سليل بنى وفا ، ثم حمل الخديو عَلَى يديه إحدى هذه الودائع الكريمة ، وأشار إلى أخيه الأمير حسين كامل باشا ، والغازى أحمد مختار باشا المندوب السلطانى العالى ، ومحمد ثابت باشا رئيس الديوان الخديوى ، ومحمد رءوف باشا ناظر الأوقاف ، بحمل الأربع الباقية ، فحملوها وخرجوا جميعاً إلى سلم القصر المشرف عَلَى ميدان عابدين ، فتقدم السيد عبد الباقى البكرى وتسلم

الوديعة التى يحملها الخديو وانتظم مع الحاملين لبقية الآثار . وكان خروج الموكب من القصر فى ضحى ذلك اليوم ، ووصل إلى المسجد الحسينى بالسير الرويد فى ثلاث ساعات ، وكان مسيره من عابدين فى شارع عبد العزيز إلى ميدان العتبة الخضراء فشارع محمد على إلى ميدان باب الخلق فشارع تحت الربع إلى باب زويلة فشارع السكرية فالعقادين فالغورية فالسكة الجديدة إلى أن وصل إلى المسجد الحسينى ، وكان فى طليعته خمسة من فرسان الشرطة يتلوهم جميع أرباب الأشائر الذين بالقاهرة حاملين أعلامهم ، ثم كوكبة من فرسان الجيش فكتيبة من مشاته فالأعيان والوجوه فالعلماء وطلبة العلم فعشرون وصيفاً يحملون مجامر البخور وقماقم العطر ، ومن بعدهم حملة الآثار فى صف ، يتوسطهم السيّد البكرى ، وعن يمينه ويساره الغازى مختار باشا وكان لابساً حلته العسكرية ، والأمير حسين باشا أخو الخديو ، وفى الطرفين محمد ثابت باشا ورءوف باشا ، ثم يتلوهم الوزراء — وكان يقال لهم فى ذلك الحين : النظار — ثم مستخدمو الدواوين فشرذمة من رجال الشرطة . ولما وصلوا بالآثار إلى المسجد أودعوها فى خزائنها وأودعوا معها المصحف العثمانى ، وتسلم مفاتيحها ناظر الأوقاف ، ثم تليت آيات من الكتاب العزيز ، ووقف الشيخ سليم عمر القلعاوى شيخ مسجد القلعة فخطب خطبة نوّه فيها بالآثار ودعا للسلطان وللخديو .

ثم لما تولى عَلَى مصر الخديو عباس حلمى باشا سنة ١٣٠٩ هـ ، رأى أن ينشىء للآثار حجرة خاصة فتم إنشاؤها سنة ١٣١١ هـ وراء الحائط الشرقى للمسجد الحسينى والحائط الجنوبى لقبة المشهد ، وجعل لها بابان واحد إلى

المسجد وواحد إلى القبة ، وجعلت خزانة الآثار بحائطها الجنوبى ، وهى باقية فيها إلى اليوم تقصد بالزيارة فى أيام معلومة .

عدد هذه الآثار وصفتها

نرى فيما سردناه من الروايات اختلافاً فى عدد هذه الآثار بالزيادة والنقصان ، وسبب ذلك أن من الراوين من لم يرها ، فذكر ما نقـل له عنها بالسماع ، ومنهم من تساهل فى استقصاء عددها واكتفى بذكر بعضها ، ولقد أحسن من احتاط منهم فأعقب عبارته بقوله : (وغير ذلك) والذى يتحصل من مجموع هذه الروايات أنها كانت قطعة من العنَزة أى الحربة ، وقطعة من القصعة ، ومِرود ، وعبر عنه بعضهم بالميل ، وقال بعضهم من نحاس وبعضهم من نحاس أصفر ، ومِلقط ، وقال عنه بعضهم من حديد ، وقيده بعضهم بكونه صغيراً لإخراج الشوك من الرِّجل أو غيرها . ومِخصف ، وقيده بعضهم بكونه صغيرا ، وعبر عنه بعضهم بالإشفى الذى كان صلى الله عليه وسلم يخصف به نعله . ومكحلة ، ومشط ، وانفرد بذكرهما ابن كثير . وقطعة عصا وانفرد بذكرها الجبرتى . وقطعة من القميص ولم يذكرها إلا ابن إياس والجبرتى . ومن غير الآثار النبوية المصحف المنسوب لأمير المؤمنين علىّ عليه السلام ، ثم أضاف إليها السلطان الغورى المصحف العثمانى الذى كان بمدرسة القاضى الفاضل وهما باقيان إلى اليوم وفى نسبتهما إليهما نظر [1] .

ولم يبق من الآثار النبوية اليوم إلا المكحلة والمرود والقطعة من القميص

---

(١) سنفرد مقالا فيما نسب من المصاحف الشريفة إلى الصحابة رضى الله عنهم ولا سيما ذى النورين وما روى عنها وقيل فيها .

والقطعة من القضيب وهى التى عبَّر عنها الجبرتى بقطعة عصا . وضُم إليها شعرتان من اللحية النبوية الشريفة[1] محفوظتان فى زجاجة . وقد حفظت جميعها فى أربعة صناديق صغيرة من الفضة ملفوفة فى قطع من الديباج الأخضر المطرّز : المكحلة والمرود فى صندوق ، والشعرتان فى صندوق ، والقميص فى صندوق ، والقضيب فى صندوق . وفقدت بقية الآثار التى كانت معها ، وهى القطعة من العَنَزة ، والقطعة من القصعة ، والمخصف ، والملقط ، والمشط ، ولا يعلم فى أىّ زمان فقدت .

تنبيـــــه

قال ابن إياس فى حوادث المحرم من سنة ٨٨٩ ﻫ : « و فيه توفى الشيخ ولى الدين أحمد شيخ الآثار النبوية وقاضى ثغر دمياط وكان ديِّناً خيِّراً حسن السيرة لا بأس به » اﻫ . وهى عبارة مبهمة قد يفهم منها أنها آثار نبوية أخرى بدمياط كانت فى نظر قاضيها ، وقد تبين لنا بعد بحث طويل استوعبنا فيه تراجم الأحمدين بالضوء اللامع للسخاوى أن المراد الآثار المعروفة التى بالقاهرة ، وأن الشيخ ولىّ الدين المذكور كان شيخاً عليها ثم نقل قاضياً لدمياط وتوفى بها . وملخص ما جاء عنه فى هذا الكتاب أنه الشيخ ولىّ الدين أبو زُرعة أحمد بن محمَّد بن عمر بن محمد بن إبراهيم البارنبارى الشافعى سبط داود بن عثمان السبتى ، ولد بمصر سنة ٨٢٨ ، واشتغل على البهاء بن القطان والشهاب بن مبارك شاه والبرهان المتبولى

---

(١) سيأتى الكلام على الشعرات النبوية الشريفة فى فصل خاص .

وغيرهم . وكتب الإملاء عن الحافظ بن حجر ، وسمع الحديث عَلَى جماعة منهم عمه النور عليّ والبدر النسابة وهاجر القدسية ، وناب فى القضاء عن المناوى ، واستقرّ به العز الكنانى سنة ٨٧٠ شيخاً عَلَى الآثار . ثم استقرّ به الزين زكريا فى قضاء دمياط بعد الصلاح بن كميل ، وحُمِد فى ذلك كله لعقله ومداراته وخبرته وسياسته مع فضيلة وتواضع ، وكتب عَلَى مختصر أبى شجاع مطولاً ومختصراً ، وشرع فى شرح عَلَى المنهاج ، ومات وهو بدمياط ليلة الثلاثاء ثالث عشر المحرم سنة ٨٨٩ ، ودفن بتربة تجاه فتح الأسمر . اهـ . قلنا : وقول السخاوى فتح الأسمر جرى فيه على المشهور عند العامة ، والصواب أنه العارف بالله فاتح بن عثمان الأسمر التكرورى القادم من مراكش إلى دمياط ، والمتوفى بها سنة ٦٩٥ ترجمه المقريزى فى خططه فى كلامه على دمياط ترجمة حافلة بيَّن فيها وهم العامة فى اسمه وذكر له مناقب جليلة فى الزّهد والورع وسلوك طريق السلف من التمسك بالكتاب والسنة ، رحمه الله تعالى ورضى عنه .

آثار القدم الشريفة على الأحجار

قلنا فى كلامنا على رباط الآثار المسمى بعد ذلك بجامع أثر النبى إن به حجراً تزعم العامة أن عليه أثر القدم النبوية الشريفة وليس بصحيح ، ووعدنا بمعالجة البحث فيه وفيما يماثله من الأحجار فى هذه التتمة فنقول :

المعروف الآن من هذه الأحجار سبعة : أربعة منها بمصر ، وواحد بقبة الصخرة ببيت المقدس ، وواحد بالقسطنطينية ، وواحد بالطائف ، وهى حجارة سوداء إلى الزرقة فى الغالب عليها آثار أقدام متباينة فى الصورة والقدر لا يشبه الواحد منها الآخر . وقد ألّف العلامة أحمد ابن محمد الوفائى الشافعى المعروف بابن العجمى المتوفى سنة ١٠٨٦ رسالة سماها : « تنزيه المصطفى المختار عما لم يثبت من الأخبار » بين فيها عدم صحة هذه الأحجار ، وأن لا سند لما ورد فيها . ونقل عن الإمام ابن تيمية أنها من اختراع الجهّال وأن ما يروى من حديث تأثير قدمه صلى الله عليه وسلم فى الصخر إذا وطىء عليه من الكذب المختلق . وفى ج ١ ص ٢٦٠ من مجلة « الهداية الإسلامية » نبذة فى ذلك لأستاذنا العلامة مديرها لخصها من هذه الرسالة فلتراجع . وسنورد فى آخر هذه التتمة خلاصة نذكر فيها من تكلم على هذه الأحجار من العلماء الأعلام نفياً وإثباتاً بعد أن نستوفى البحث فيها من الوجهة التاريخية مبتدئين بما بمصر منها على ما يأتى :

الأول : حجر أثر النبي وهو حجر ضارب إلى الحمرة عليه أثر قدمين ، محفوظ فى حجرة صغيرة مطلة على النيل وملاصقة للحائط الغربى لمسجد أثر النبي . وعلى هذه الحجرة قبة وفى حائطها الجنوبى محرابان : أحدهما لاشيء به ، والذى فى غربيه به صُفَّة ألصق الحجر عليها وجعل على وجه هذا المحراب رخام منقوش كتب فيه بالنقر سطران بالتركية يفيدان أن إبراهيم باشا مد الله فى عمره جدد هذا المقام على رسم القدم . وقد تقدم فى كلامنا على رباط الآثار أن إبراهيم باشا الدفتردار المتولى على مصر سنة ١٠٧١ جدده ووسعه وبنى تحته رصيفا وأرصد له أرضاً وعين به القراء والحراس ، ثم نقلنا عن الجبرتى خبر تجديد آخر فيه قام به الخواجة[1] محمود حسن بزرجان باشا سنة ١٢٢٤ وقلنا إنه البناء الباقى إلى اليوم على الراجح والذى يظهر أن التجديد الأخير لم يشمل قبة الأثر بدليل هذه الكتابة الباقية على المحراب ، إلا أن تكون هذه الرخامة أعيدت إلى مكانها بعد التجديد إبقاء لاسم إبراهيم باشا وتاريخ وضع هذا الحجر بهذا المكان مجهول ، فلا يغترنَّ الناظر فى الخطط الجديدة

(١) الخواجه وقد يرسمه بعضهم بألف فى آخر بدل التاء لفظ فارسى دخيل فى التركية ويرسم فى اللغتين بهاء فى آخره غير منطوقة وهو لقب تكريم عندهم يرادف الأغا والأفندى والسيد ومافى معناها . ويطلق أيضاً على الأساتذة المعلمين ولا سيما المشايخ المعممين منهم وقد يحرف فى هذا المعنى فيقال فيه خوجه بحذف الألف التى بعد الواو . وفى الفوائد البهية فى تراجم الحنفية أن النقشبندية يطلقون الخواجه على مشايخهم للتكريم . ورأينا فى بعض التواريخ تلقيب الوزراء به ثم لقب به كبار التجار واستعمل فى ذلك إلى عصر الجبرتى ولما كثر نزوح الأفرنج إلى مصر فى أوائل هذا العصر وكان أغلب الوافدين منهم فى أول الأمر تجاراً كرموهم بهذا اللقب ثم توسعوا فيه فأطلقوه على كل أفرنجى ثم قيل أيضاً للوجيه من غير المسلمين وإن لم يكن أفرنجياً . وقد فصلنا الكلام عليه فى معجم العامية المصرية

التوفيقية لعلى مبارك باشا ، بما جاء عنه فى كلامه عن قرية (أثر النبيّ) وزعمه أن الظاهر بيبرس هو البانى للمسجد وللقبة عَلَى هذا الأثر ، فقد بيّنّا وهمه هذا فيما تقدم ، وأن المسجد من بناء الصاحب تاج الدين ابن حِنا ، وكان يعرف برباط الآثار ، ثم تغيَّرَت معالمه مع الزمن بما حدث فيه من التجديد ، كما تغير اسمه بجامع أثر النبيّ . والراجح فى هذا الحجر ، أنه لم يوضع بهذا المسجد إلا فى القرون الأخيرة ، إذ لو كان من زمن ابن حِنا أو ما قرب منه ، ما أغفل ذكره مؤرّخو تلك العصور ، كما لم يغفلوا ذكر ما كان هنا من الآثار . ولم نجد له ذكراً فيما اطلعنا عليه من الرِّحَل إلا فى « الحقيقة والمجاز ، فى رحلة الشام ومصر والحجاز » للعلامة عبد الغنى النابلسى ، وهى فى وصف رحلته إلى هذه البقاع الثلاث فى أوائل القرن الثانى عشر ، وقد زاره باعتقاد وحسن نية ، كما فعل بحجر قايتباى ، وكانت زيارته له بعد زيارته لمقياس النيل بالروضة ، فقال عنه ما نصه : « ثم قمنا من ذلك المكان ، وركبنا وسرنا مع الجماعة بالسرور والأمان ، إلى أن وصلنا إلى المسجد الذى فيه قدم النبى صلى الله عليه وسلم ، فدخلنا إليه وصلّينا صلاة الظهر بالجماعة ، ورأينا ذلك المسجد فدخلنا إلى قبة لطيفة ، وبها البهجة والجلال والهيبة مطيفة ، وهناك أثر قدم النبيّ صلى الله عليه وسلم فى حجر شريف ، مرتفع فى طاق عال منيف ، فى الحائط القبلى وعليه الماوَرد[1] والستر المسبول ، وأنواع القبول ، وقد عقدت عَلَى ذلك المكان قبة سامية البناء ، جالبة الهناء ، فتبركنا به وحصل لنا

---

(١) أى ماء الورد .

كمال الصفاء، وغاية الشوق والوفاء » . ثم أنشد فيه لنفسه :

طٰه الرّسول به الفـؤاد مولّع أكرم بمشاه المؤثر فى الحجرْ
إنْ فات عينى أن تراه فإنها قنعت هناك بما تراهُ من الأثرْ

وأنشد فيه أيضاً قوله :

قدم النبىّ بمصر جئنا نحوه متبرّكين بنورِه الفيّاض
تعلو عليه من الجلالة قبة أنوارها كالبرق فى الإيماض
وعليه أسرار المهابة والبها يهدى القلوب لذكر عهد ماض
حصلت به كل السعادة والمنى للزّائرين وسائر الأغراض
أثرٌ شريفٌ قد بدا فى صخرة من مَسها يُشفى من الأمراض

انتهى . وبقى هذا المسجد معروفاً بمسجد الآثار بعد نقل الآثار النبوية منه إلى قبة الغورى فى أوائل القرن العاشر، ثم عرف بجامع أثر النبى ، وهى تسمية لم نرها فى التاريخ قبل القرن الحادى عشر . والغالب أنه سمّى بذلك بعد وضع هذا الحجر فيه ، وقد أطلق هذا الاسم أيضاً على القرية الملاصقة له ، ثم على الشارع الموصل إليه من مصر القديمة الذى أحدث فى هذا العصر ممتدًّا عَلَى شاطىء النيل .

الثانى : حجر قايتباى: وهو حجر أسود به أثر قدمين موضوع بجوار قبر السلطان الملك الأشرف أبى النصر قايتباى المحمودى المتوفى فى ١٧ ذى القعدة سنة ٩٠١ هـ ، وكان أعدَّ هذا القبر لنفسه فى حجرة واسعة ذات قبة شاهقة ملاصقة لمسجده الذى بناه بالصحراء المعروفة الآن بقرافة

المجاورين[١] . ويرى الزائر فى ركن من هذه الحجرة قبر ولده السلطان الملك الناصر أبى السعادات محمد ، المتولى بعده عَلَى المملكة المصرية ، والمتوفى مقتولا فى ١٥ ربيع الأول سنة ٩٠٤ هـ ، وبجواره حجر آخر أسود عليه أثر واحد يزعمون أنه أثر قدم الخليل عليه السلام . والشائع فيهما عند السدنة وسكان تلك الجهة أن السلطان استجلبهما من الحجاز ليوضعا بعد موته بجوار قبره تبركاً بهما ، وهو شىء لم نره مسطوراً فى تاريخ[٢] ، وإنما يذكره بعض أصحاب الرحلات عَلَى ما سمعوه من الأفواه ، وذكره أيضاً العلامة شهاب الدين الخفاجى فى نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض بما نصه : « قيل إن السلطان قايتباى اشتراه بعشرين ألف دينار وأوصى بجعله عند قبره وهو موجود إلى الآن » . قلنا : وإذا لم يصح شراء السلطان لهذين الحجرين أو أحدهما ، فلا يبعد أن يكونا من الأحجار التى قيل إنها أحضرت من خيبر لشمس الدين ابن الزمن التاجر الشهير وجعلها بمدرسته التى كان شرع فى إنشائها بشاطىء بولاق ، وكان يقيم أحياناً بمكة للإشراف عَلَى أبنية الأشرف قايتباى بها ثم توفى بها سنة ٨٩٧ ، فيحتمل أنه أحضرها معه من الحجاز ، ثم اختار السلطان منها هذين الحجرين

---

(١) هى المقبرة الشمالية الواقعة شرقى مساكن القاهرة وكان حدوثها فى القرن الثامن وسميت بذلك لأنها أقرب المقابر للأزهر وبها مدافن مجاوريه أى طلبته وفيها بقعة يكثر دفن علمائه بها تعرف ببستان العلماء . ولما توفى الشيخ المعتقد عبد الوهاب العفيفى المدرس بالأزهر سنة ١١٧٢ ودفن فى مقبرة المجاورين سميت أيضاً بقرافة العفيفى .

(٢) قال العلامة أحمد بن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار « لو كان للحجر الذى قيل إن قايتباى اشتراه مجرد شائبة شهرة أيضاً لذكره الجلال السيوطى فى ترجمته وعده فى مناقبه فإنه كان فى زمانه وأثنى عليه » .

فنقلهما بعد موته من مدرسته ، والله أعلم . وسيأتى الكلام على هذه المدرسة وما كان بها من الآثار فى هذا الفصل وفى فصل الشعرات الشريفة .

وقد زار المقرى وأبو سالم العياشى هذا الأثر فى القرن الحادى عشر وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعى فى أوائل القرن الثانى عشر ، وأبو العباس أحمد القاسى فى أوائل الثالث عشر ، فذكروا عدم ثبوت صحته ، وأنه يُزار بحُسن النية فقط . وزاره فى أوائل القرن الثانى عشر الشيخ عبد الغنى النابلسى ، ولكنه لم يعتمد فيه إلا على ما سمعه من الأفواه ، وقد ذكره مرتين فى رحلته « الحقيقة والحجاز » إحداهما بإسهاب فى زيارته الأولى له ، والثانية باختصار فى زيارته الثانية عند خروجه من القاهرة للحج ، فقال فى الأولى : « ثم سِرنا إلى أن وصلنا إلى جامع السلطان قايتباى ، وهو مكان معمور ، وبأنواع الخير مغمور ، فدخلنا إليه وزرنا قبر السلطان ، وعليه قبة عظيمة ، ذات جدران محكمة جسيمة ، فوقفنا وقرأنا الفاتحة ، ودعونا الله تعالى ، وعند رأس القبر قدم النبى صلى الله عليه وسلم فى صخرة موضوعة على كرسى ، وعلى تلك الصخرة قبة لطيفة من خالص الفضة مطلية بالذهب والكتابة بالذهب حولها بالخط الحسن ، وللقبة باب ، ففتح لنا وزرنا القدم الشريفة ، وقبلناها وتبركنا بها ، وعند الجدار الشمالى قبر زوجة[1] السلطان قايتباى ، وعَلَى قبرها قدم الخليل إبراهيم

---

(١) لم يذكر أحد من المؤرخين فيما نعلم أن زوجته دفنت معه بالقبة ، والمذكور أن الذى دفن معه ولده السلطان الملك الناصر أبو السعادات محمد . وإنما بجوار حجرة القبة حجرة سفلى بها بعض قبور شاع بين الناس أن زوجة السلطان مدفونة فى أحدها ، والذى يؤخذ من تاريخ ابن إياس أن المدفون بهذه الحجرة جانم وأخوه جانى بك ابنا عم الناصر محمد ابن قايتباى وأزبك الخاصكى ، والثلاثة ممن قتل مع الناصر المذكور .

عليه الصلاة والسلام أيضاً فى صخرة ، وعلى تلك الصخرة قبة من خشب فزرناها وتبركنا بها وقرأنا الفاتحة ودعونا الله تعالى . وذكروا لنا أن السلطان سليما من بنى عثمان عليه الرحمة والرضوان لما دخل مصر المحروسة زار القدم المذكورة قدم النبى صلى الله عليه وسلم وتبرك بها[1] . ثم بعد رجوعه إلى بلاد الروم ، أرسل جماعة من الناس إلى مصر ، وأخذ القدم النبوية المحمدية فحملت الصخرة إليه لأجل التبرك وحصول الخير بها فى البلاد الرومية ، فلما وصل ذلك إلى بلاد الروم سلطان بنى عثمان ، رأى فى منامه السلطان قايتباى ، وأمره أن يرد القدم إلى مكانها ، وقال له : أنا أخذتها بإذن النبى صلى الله عليه وسلم من المدينة . فلما أفاق من منامه أرسلها إلى مكانها وأرسل معها أربعة أعلام مكتوبة بالذهب ، وهى إلى الآن موجودة فى ذلك المكان . اهـ قلنا : الذى نسبه إلى السلطان سليم لم يقله أحد من المؤرخين ، وإنما نقله كما ذكروه له ، وهو من أوهام السدنة وخلطهم فى المسائل التاريخية . والمعروف أن الذى نقل هذا الحجر إلى القسطنطينية هو السلطان أحمد بن محمد المعروف عند العثمانيين بأحمد الأول المتولى سنة ١٠١٢ والمتوفى سنة ١٠٢٦ . وهو الذى جعل عليه القبة الفضة على ما ذكره العلامة أحمد المقرى فى فتح المتعال فى مدح النعال ، فقد سرد فى خاتمة هذا الكتاب مسائل تعرّض فى إحداها لهذا الحجر ، وأورد أبياتاً سقيمة كثيرة الضرورات رآها مكتوبة على الفضة التى جعلها

---

(١) لايعرف أنه زار القدم أودخل هذا المسجد وغاية ماذكره ابن إياس عنه أنه لما خرج من القاهرة يوم الخميس ٢٣ شعبان سنة ٩٢٣ عائداً إلى بلاده سار بين الترب إلى بركة الحاج فلما مر بتربة الأشراف قايتباى وقف هناك وقرأ الفاتحة وأهداها إليه .

هذا السلطان على الحجر ، وهذا نص ما قال : « ومنها أن كثيراً من مادحيه صلى الله عليه وسلم صرحوا بأنه كان إذا مشى على الصخر غاصت قدماه فيه وإذا مشى على الرمل لا يؤثر فيه[1] حتى إنه اشتهر عند الناس قصد بعض الحجارة التى فيها شبه أثر القدم النبوية فيما يقال للتبرك بها ، خصوصاً ما وضع منها فى المواضع المقصودة للزيارة . وقد رأيت بمصر المحروسة بتربة السلطان المرحوم أبى النصر قايتباى المحمودى رحمه الله بالصحراء حجراً فيه أثر قدم يقال إنه أثر القدم النبوية ، والناس يزورونه وقد رأوا له بركات . وقد كان الخُنكار[2] المرحوم سلطان الرُّوم خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان أحمد ابن مولانا السلطان محمد ابن مولانا السلطان مراد بن عثمان[3] رحم الله سلفه ونصر خلفه نقله من هذا المحل إلى حضرته العلية القسطنطينية ، ثم أمر برده إلى محله وجعل عليه فضة بصنعة

---

(١) من ذلك قول بعضهم :

وعليك ظللت الغمامة فى الورى والجذع حن إلى كريم لقاكا
وكذاك لا أثر لمشيك فى الثرى والصخر قد غاصت به قدماكا

وقول الإمام البوصيرى فى الهمزية :

أو بلثم التراب من قدم لا نت حياء من مسها الصفواء :

ويروى (من مشيها) قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى شرحه لهذا البيت : هذا الذى ذكره الناظم ذكره من تكلم على الخصائص لكن بلا سند .

(٢) الخنكار بضم فسكون معناه فى التركية السلطان ، وهو تحريف أو اختصار للفظ خدا وندكار بمعنى السلطان فى الفارسية .

(٣) قوله ابن عثمان هى نسبة إلى جدهم الأعلى لأن السلطان مراداً المذكور هو ابن سليم بن سليمان بن سليم إلى أن ينتهى النسب إلى عثمان ، وكثيراً مايعبر المؤرخون عن كل سلطان منهم بابن عثمان .

ملوكية وعليها مكتوب مما قرأته ما مثاله ولم يعلم قائله :

تشوّق حضرة السلطان أحمدْ ... زيارة موطىء القدم المكرمْ
فحركه بجاذبة اشتياق ... على إقدام أقدام فقدم
وسيّره إلى القسطنطنيه[1] ... فقال له تقدّم خير مقدم
وأدخل داره باليمن حباً ... وتعظيما لصاحبه المعظم
حبيب الله سيدنا محمدٌ ... عليه ربنا صلى وسلم
وأرجعه[2] بإعزاز عظيم ... إلى تلقاء موضعه المقدّم
إلهى عمّر السلطان أحمد ... وقدّمه عَلَى من تقدم
بحرمة صاحب القدم المعلَّى ... إلى الدرجات فى الأفلاك سلم

وتشرّف بزيارته سنة ١٠٢٤ ، اهـ ما ألفيته بحروفه » . والذى ذكره من نقل السلطان أحمد للحجر غير مستبعد ، فقد ذكرت التواريخ التركية أنه كان كثير التعظيم للآثار النبوية ، حتى إنه نقش مثال القدم النبوية على صُرْغوج عمامته ونقش معه بيتين بالتركية من نظمه ، والصرغوج حلية كانت توضع على القلنسوة أو العمامة ولم تزل هذه القبة إلى اليوم على هذا الحجر ، وهى قبة صغيرة قائمة عَلَى قاعدة مربعة مرفوعة على أربعة أعمدة والأبيات المذكورة منقوشة بالحفر فى جوانب القاعدة ، ولم تتيسر لنا قراءتها إلا بعناء بعد جلاء موضعها ومسحه ، وكانت تظهر لنا فى بعض

---

(١) قوله (وسيره) هو المنقوش على القبة كما رأيناه والذى فى نسخ فتح المتعال التى اطلعنا عليها (وصيره) بالصاد . وقوله القسطنطنية هو بحذف الياء التى بعد الطاء الثانية لضرورة الوزن .

(٢) هو المنقوش على القبة والذى فى نسخ فتح المتعال (وراجعه) وهو تحريف .

المواضع عند مسحها آثار الطلاء بالذهب ، وقد اكمدَّ لون القبة وتغير حتى يخيل لرائيها أنها من نحاس .

وأما الحجر الآخر الذى قيل إن به أثر الخليل فعليه شبه قبة من خشب مستطيلة دقيقة الأعلى واسعة الأسفل كالقمع ساذجة لا أثر للصناعة فيها .

ولما زار أبو العباس أحمد الفاسى فى رحلته إلى الحج سنة ١٢١١ مسجد السلطان قايتباى ، وَصف الحجرين بقوله : « وتبركت بحجرين هنالك شاع عَلَى ألسنة العوامّ أنهما أثَّرَ فيهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ، أحدهما بلصق قبر السلطان المذكور فيه أثر قدمين ، والآخر مقابل له يمنة الداخل من الباب فيه أثر آخر ، وعليهما بناء وهما مرفوعان من الأرض على بناء ، وإن لم يصح ذلك فقد نسبا إلى النبى صلى الله عليه وسلم فى الجملة والله يعاملنا بنياتنا » . ثم نقل عبارة أبى سالم العياشى عنهما فى رحلته ، ونصها[(١)] : « عند رأس القبر حجر مبنى عليه بناء حسن فيه أثر قدمين شاع عند الناس أنهما قدما النبى صلى الله عليه وسلم ، وهنالك حجر آخر فيه أثر قدم أخرى يقال إنها قدم الخليل ، والناس يزورونها ويذكرون أنها من الذَّخائر التى ظفر بها السلطان قايتباى أيام سلطنته ، فجعلت عند قبره رجاء بركتها ولا يبعد ذلك ، فقد كان ملكا عظيما عدلاً موقراً مهيباً محبباً إلى الخلق ، ذا سيرة حسنة فى الرعية ، واجتهاد فى عبادة ربه ، إلا أننا لم نر من نص على أنه ظفر بشىء من هذه الآثار من المؤرخين ، بل ذكر جماعة من حفَّاظ المحدثين أن ما استفاض واشتهر خصوصاً على ألسنة الشعراء والمداح من أن رجل النبى صلى الله عليه وسلم غاصت فى الحجر

---

(١) نقلها عنه أيضاً أبو العباس أحمد ين محمد بن ناصر الدرعى فى رحلته إلى الحجاز .

لا أصل له ، ولم يذكر أحد أن أثر الخليل عليه السلام موجود فى غير حجر المقام . قلت : وبالمدينة المشرفة ومكة والقدس آثار يقال إنها آثار بعض أعضاء النبى صلى الله عليه وسلم من قدم ومرفق وأصابع والله أعلم بصحة ذلك ولكن لم يزل الناس منذ أعصار يتبركون بها من العلماء والصالحين ، ويقتفى الآخر منهم الأول ، فلأجل ذلك لما دخلنا إلى مزار السلطان المذكور صبّ القيّم على الأثرين شيئاً من ماء الورد ، فغمسنا فيه أيدينا ومسحنا بها أوجهنا ورؤوسنا وأبداننا رجاء البركة بحُسن النية وجميل الاعتقاد » إلى آخر ماذكره . وقال أبو العباس الفاسى عقب نقله لكلامه : « وما زال يبعد كل البعد عند علماء القاهرة ثبوت الأثر المذكور ، فقد تكلمت مع شيخنا الشيخ داود القلعى فى ذلك فلم يسعفنى بالكلام فيه » . اهـ . قلنا : وآثار القدم والمرفق التى أشار إليها أبو سالم العياشى رأيناها مذكورة فى سؤال رفع إلى الإمام السيوطى ، فأجاب بأنه لم يقف فى ذلك على أصل ولا سند ولا رأى مَن خرّجه فى شىء من كتبِ الحديث . اهـ . والذى يرويه الناس فى المرفق أنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى دار أبى بكر الصديق رضى الله عنه بمكة ووَقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق بالحائط فى الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق زقاق المرفق . اهـ . ملخصًا من فتح المتعال للمقرى . وذكره أيضاً قطب الدين الحنفى فى الإعلام بأعلام بيت الله الحرام فى الخاتمة التى خصها بالأماكن المجاب فيها الدعاء بمكة فقال : إنه صفحة حجر مبنى فى جدار فى وسطه حفرة مثل محل المرفق يزوره العوام ويزعمون أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ عليه فغاص مرفقهُ الشريف فيه ، ثم قال : « وما رأيت فى كلام أحد من المؤرخين

من حقق شيئاً من ذلك ، وَالله أعلم بحقيقته »(١). وَرأينا أيضاً في موضعين من هذه الخاتمة أن بالجبل المقابل لثبير الذى بلحفه مسجد الخَيْف غاراً يقال له غار المرسلات لنزول سورة « وَالمرسلَات » به ، تزعم العامة أن سقفه لانَ لرأس النبي صلى الله عليه وسلم فأثر به تجويفاً بقدر دورة الرأس فيضع الناس رءوسهم فى هذا الموضع تبركا ، ثم ذكر أنه لم يقف عَلَى خبر يعتمده فى ذلك . قلنا : ذكره التقى الفاسى فى شفاء الغرام والجلال السيوطى فى الخصائص الكبرى عن أبى نُعَيْم ولكن بلا سند ، وقد بقى هذان الحجران مقصودين بالزيارة إلى زماننا هذا ، وذكرهما العلامة إسماعيل الحامدى المالكى أحد علماء الأزهر المتوفى سنة ١٣١٦ فى الرحلة الحامدية إلى الأقطار الحجازية وهى فى حجه سنة ١٢٩٧ هـ ، فقال إنه زارهما وإن حجر المرفق كان قريباً من الصاغة ، وذكر حجراً آخر زاره فى الطريق التى بين مكة والتنعيم ، قيل إن النبى صلى الله عليه وسلم أسند ظهره إليه فلَانَ وغاص(١) فيه ، وذكر حجراً آخر قيل إن عليه أثر كفه صلى الله عليه وسلم بمسجد الغمامة بجهة بدر ، وحجراً بالمدينة فى مكان بأسفل جبل

---

(١) وذكره الأسدى بعبارة مختصرة فى إخبار الكرام بأخبار المسجد الحرام ، وذكر كذلك الأثر الذى بغار المرسلات .

(١) لعله الذى سماه التقى الفاسى بالمتكإ فى شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام إن لم يكن مراده بالمتكإ أثر المرفق أو شيئاً آخر غيرها وقد ذكر أنهما اثنان أحدهما بقرب باب الحرم المعروف بباب العمرة والثانى فى طريق التنعيم المعتادة ، وقال لعلهما سمياً بذلك للراحة بالاتكاء عندها من تعب السير إلى العمرة ولم يذكر أنهما نبويان وذكر متكأً آخر منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم بأجياد الصغير وهو دكة مرتفعة ملاصقة لدار شيخ الحجبة ومتكأً رابعاً بجهة أخرى من أجياد الصغير ذكره الأزرقى وقال فيه : سمعت جدى أحمد بن محمد ويوسف بن محمد بن إبراهيم يسألان عن المتكإ وهل صح عندهما أن النبى صلى الله عليه وسلم اتكأ فيه فرأيتهما ينكران ذلك ويقولان لم نسمع به من ثبت » .

أُحُد عليه أثر نبوى . والراجح أنها قلعت جميعها من أماكنها ومحيت آثارها بعد استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود ملك نجد على الحجاز سنة ١٣٤٤ . ومن حجارة الآثار حجر قيل إن عليه أثراً نبوياً فى قرية شهار بالطائف يسمونه بأثر الغزالة النبوية ، ذكره الفاكهى فى تاريخه للطائف ، ونقله عنهُ الشيخ محمد عبد الكريم من علماء القرن الثانى عشر فى رسالة له فى فضائل الحبر ابن عباس والطائف ، ثم قال : « ولم أقف عَلَى ما يشهد لذلك فى كتب الآثار ولا فى أجزاء لطيفة صنفت فى آثار الطائف للمتأخرين ولا على ما ينفيه » . اهـ . وقد دعانا التعرض لأثر المرفق إلى الاستطراد لذكر هذه الأحجار إتماماً للفائدة ببيانها وبيان أن لا مستند فيها إلا على ما هو شائع بين الناس ، والله أعلم .

الثالث : حجر المقام الأحمدى: وهو فى ركن من أركان القبة المقامة على ضريح السيد أحمد البدوى رضى الله عنه بطنِدِتا المعروفة الآن عند العامة بطنطا ، ولم أقف فيهِ إلا على ما ذكره الشيخ عبد الصمد فى الجواهر السنية فى النسبة والكرامات الأحمدية من أنه حجر أسود مثبت فى ركن القبة تجاه وجه الداخل من الجهة اليمنى ، وفيه موضع غوص قدمين شاع بين الناس وذاع واستفاض وملأ البقاع والأسماع أنه أثر قدمى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل من زار الأستاذ يتبرك به . اهـ . ولم يتعرض لذكر واضعه وتاريخ وضعه بهذا المكان .

الرابع : حجر البرنبل : وهى قرية شرقى النيل من قسم إطفيح[1] بولاية

(١) البرنبل كحزنبل أى بفتحتين فسكون ففتح . وإطفيح كإزميل أى بكسر الأول وهو اسم قرية مشهورة على ما فى شرح القاموس للزبيدى

الجيزة وفى شرقيها على قارة بسفح الجبل مقام لسيدى أُوَيْس القَرَنى ، والصحيح أنه غير مدفون بمصر . وفى شرقى هذا المقام حجر صلب فى الجبل به أثر قدم تزعم العامة أنه قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويزوره سياح الإفرنج كثيراً .

الخامس : حجر قبة الصخرة : ببيت المقدس و هو قديم ذكره الإمام ابن تيمية وأنكر صحته ، وقال عنه العليمى فى « الأنس الجليل ، فى تاريخ القدس والخليل » : « القدم الشريفة فى حجر منفصل عن الصخرة محاذٍ لها آخر جهة الغرب من جهة القبلة وهو على عمد رخام » . ومثله فى « باعث النفوس ، لزيارة القدس المحروس » لبرهان الدين إبراهيم ابن قاضى الصلت و « إتحاف الأخصّا ، بفضائل المسجد الأقصى » لشمس الدين محمد المنهاجى السيوطى ، وذكره أيضاً جمال الدين عبد الله بن هشام الأنصارى فى « تحصيل الأنس ، لزائر القدس »[1] بما لايخرج عن ذلك وزاره العلامة المقرى وقال عنهُ فى « فتح المتعال » : « وقد رأيت حجراً فيهِ أثر قدم بقبة الصخرة الشريفة بالبيت المقدَّس ، والناس يعظمونهُ ويتبركون به » . وقد زاره العلامة عبد الغنى النابلسى وأشار إليهِ فى رحلتهِ « الحقيقة والمجاز » محيلا على ما ذكره عنهُ فى « الحضرة الأنسية ، فى الرحلة القدسية » . وقد نقل فى الحضرة الأنسية ما قدّمنا نقله فى وصفهِ ، ثم قال : « وجعلوا على هذا المكان من الفضة على شكل الخزانة له قبة صغيرة وباب بمصراعين

---

(١) منه نسخة حسنة الخط كتبت سنة ٩٠١ بالخزانة البلدية بالاسكندرية مجلدة مع فضائل الشام لابن رجب الحنبلى ورقمها (١٣٥١ — د)

كل ذلك مصنوع من الفضة على شكل الخزانة ، ثم خافوا على ذلك من السارق فجعلوا على ذلك شبكة من النحاس الأصفر لها باب بمصراعين أيضاً يفتح للزائرين ، ففتحوه لنا والتمسنا من أثر تلك القدم البركة ، وقد وضعوا فيه ماء الورد ، فوقفنا ودعونا الله تعالى بما تيسر من الدعاء ، وأخذنا منهُ ووضعنا على وجوهنا ، ودفعنا للخادم ما تيسر من الدراهم كما هو عادتهم ، وقلنا في ذلك من النظام على حسب ما اقتضاه المقام :

قام في الصَّخرة طه المصطفى ليلة المعراج والرسل خَدَمْ
وبدا التأثير منْ أقدامهِ عبرة لمّا بها الصَّخر اصطَدمْ
وَعجيبٌ كيف في صلد الصَّفا يظهرُ التأثير مِن لحم وَدَم
إنهُ معجـــزة لا عجب وَهو للشكِّ وللريب هَدم
فاتنى لثم ثرى أقدامــه فتبرّكت بآثار القَدَمْ »[1]

السادس : حجر القسطنطينية : وهو — على ما في التواريخ التركيـة — من الآثار التي أخذها السلطان سليم من الشريف بركات أمير مكة بعد فتحهِ مصر ونقلها معهُ إلى القسطنطينية ، وهي محفوظة اليوم بقصر (طوبقبو) ، وتسمى عندهم بالأمانات المباركة .

السابع : حجر الطائف : جاء في اللطائف من تطر الطائف لابن عراق أن من المواقف النبوية بالطائف موقفاً بجبل أبي زبيدة ، وآخر عند وَجّ

(١) اعتمدنا في نقل ذلك على نسخة مخطوطة من هذه الرحلة أوفى بكثير من المطبوعة بمطبعة الإخلاص

وصخرة عليها أثر موقفه الشريف في مسجد العدَّاس بجبل أبي الأخيلة .
وقد تكلم العلامة جار الله محمد بن فهد عَلَى هذه المواقف فى تحفة الطائف
فى فضائل الحبر ابن عباس ووج والطائف ، إلا أن النسخة التى عندنا وقع
بها سقط فى هذا الموضع اختلت بسببهِ العبارة . وفى « إهداء اللطائف
من أخبار الطائف » للعجيمى ما نصه : « ومن المآثر موقف بجبل
أبى زبيدة فى طريق الذاهب إلى وج من جبل يقال له قرين ثم فى سفح
جبل يقال له أبو الأخيلة معبد العدَّاس وهو فى مسجد بالمَثناة وأثر الموقف
ظاهر فى صخرة فى ركن المسجد المشهور بمسجد الموقف » . اه . قلنا :
وقد بلغنا أن بوَجّ فى الجهة المسماة بالمثناة مسجدًا به حجر باق إلى اليوم
يزعمون أن عليه أثر مرفقه صلى الله عليه وسلم ، ولهذا يسمونه بمسجد
الكوع ، لأن العامَّة تطلق الكوع عَلَى المرفق وهو مِن أوهامها ،
والمظنون أنه المسمى قديمًا بمسجد الموقف ، ثم سماه الناس فى العصور
الأخيرة بمسجد الكوع لتوهمهم أن الذى به أثر المرفق الشريف لا القدم
لعدم وُضوح الأثر وُضوحًا كافيًا فيما يظهر ، ولهذا عددناه مِن أحجار
الأقدام الباقية إلى اليوم وليحقق .

أحجار أخرى كانت بمصر : عليها أثر القدم الشريفة فيما زعموا ، أشار
إليها السخاوى فى ترجمة شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن الزمن الشافعى
المتوفى سنة ٨٩٧ ، وذكر أنها أحضرت له مِن خيبر ، وأنها كانت مع
آثار أخرى فى مدرسته التى شرع فى إنشائها بشاطىء بولاق . قلنا :
ولا ندرى أين ذهبت ، ولعل منها بعض الأحجار المعروفة بمصر الآن ،
كالحجرين اللذين بتربة قايتباى كما قدمنا ، والله أعلم .

حجران آخران بمكة والمدينة : ذكرهما العلامة المقرى فى فتح المتعال، فقال : « ورأيت بمكة المشرفة أيضاً فى القبة التى وراء قبة زمزم أثر قدم فى حجر يقولون إنه أثر قدم النبى صلى الله عليه وسلم . وأخبرنى بعض الناس أن بالحجرة الشريفة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام حجراً كذلك ، ولم أره حين دخلت للتبرك بإيقاد مصابيحها ، ثم سألت عن ذلك الثقات العارفين ، فأجابونى : إن الحجرة ليس فيها شىء من ذلك ، وإنما هو فى بعض أماكن المدينة المنورة على صاحبها الصلاة والسلام ، فذهبت إليه فألفيت موضعه مما لا يمكن دخوله فى الوقت الذى ذهبت فيه ، وبعد هذا تكرر دخولى الحجرة الشريفة مراراً عديدة ، فلم أر فيها ذلك بيقين ، فعلمت أن المخبر لى وهم » . اهـ . قلنا : أما حجر المدينة فلا نعلم عنه شيئاً ، وأما حجر مكة فإن القبة التى كان بها هدمها الشريف عون الرفيق أمير مكة المتولى عليها سنة ١٢٢٩ هـ ، والمتوفى بها يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٣ هـ . وبلغنا أن حجراً أثرياً كان بها ، وهبه الشريف لأحد الهنود بعد هدمها ، فلعله الحجر المذكور الذى رآه المقرى .

آثار أقدام لبعض الأنبياء : فى بعض البلدان آثار أقدام على أحجار منسوبة إلى بعض الأنبياء كأثر قدم آدم عليه السلام فى جزيرة سرنديب المعروفة أيضاً بسيلان بالهند ، وأثر قدم الخليل عليه السلام بالحرم المكى ، وأثر قدم موسى عليه السلام بظاهر دمشق ، وأثر قدم عيسى عليه السلام بطورزيتا ببيت المقدس ، وأثر قدم إدريس عليه السلام ببيت المقدس ،

وأثر قدم أيوب عليه السلام بقرية قرب نوى بالبلاد الشامية . ولكون مقالنا هذا خاصاً بالآثار المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام اكتفينا بالإشارة إليها دون التعرض لتحقيقها وتفصيل الكلام عليها .

تنبيه : كان فى مصر مسجد بالقرافة الكبرى معروف بمسجد الأقدام يرد ذكره فى كتب الخطط والتاريخ ، وقد يتوهم من يراه مذكوراً عرضاً فى بعض العبارات أنه سمى بذلك لأحجار كانت فيه عليها آثار أقدام منسوبة للنبي صلى الله عليه وسلم أو لبعض الأنبياء عليهم السلام كالتى تقدمت وليس كذلك ، وإنما سمي بمسجد الأقدام لأن مروان ابن الحكم لما دخل مصر وصالح أهلها وبايعوه امتنع من بيعته ثمانون رجلا من المَعافر سوى غيرهم ، وقالوا : لا ننكث بيعة ابن الزبير ، فأمر مروان بقطع أيديهم وأرجلهم وقتلهم على بئر المعافر فى هذا الموضع فسمى المسجد بهم لأنه بنى على آثارهم والآثار الأقدام ، يقال جئت عَلَى قدم فلان أى أثره ، وقيل : بل أمرهم بالبراءة من علىّ بن أبى طالب عليه السلام فلم يتبرءوا منه فقتلهم هناك ، وقيل سمى مسجد الأقدام لأن قبيلتين اختلفتا فيه ، كل تدّعى أنه من خطتها ، فقيس ما بينه وبين كل قبيلة بالأقدام وجعل لأقربهما منه ، وقيل : إنما سمى مسجد الأقدام لأنه كان يتداوله العبّاد وكانت حجارته كذاناً فأثر فيها مواضع أقدامهم ، كذا فى خطط المقريزى . قلنا : وإنما أثرت أقدمهم فيه لأن الكَذَّان من الحجارة الرخوة . ولما شرع السلطان الملك المؤيد شيخ فى بناء جامعه داخل باب زويلة ، ونقل إليه العمد وألواح الرخام من الدور والمساجد ، هدم هذا

المسجد لذلك . وفى تحفة الأحباب للسخاوى أنه كان من المساجد السبعة التى بالقرافة المجاب عندها الدعاء ، وكان واسع الفناء عالى البناء مرتفعاً عن الأرض يصعد إليه من درج ، وكانت العامة تزعم أن به قبر آسية امرأة فرعون ، وتسمى الموضع بها وليس بثابت ، ولم يزل عامراً حتى أنشأ السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ مدرسته داخل باب زويلة من القاهرة فحسنوا له خرابه ، وقالوا له : هذا فى وسط الخراب فصار كوماً من جملة الكيمان التى هناك .

آراء العلماء فى آثار القدم النبوية الشريفة :

من الذين أنكروا صحة ذلك وذكروا أن لا أصل ولا سند لما ورد فيه الإمام أحمد بن تيمية فى فتاواه ، ونقله عنه تلميذه الإمام ابن القيم ، والإمام السيوطى فى فتاواه . والعلامة ابن حجر الهيثمى فى فتاواه مؤيداً لفتوى السيوطى وفى شرحه للهمزية ، حيث ذكر أن من روَى هذا الخبر من أصحاب الخصائص روَاه بلا سند . والحافظ محمد بن يوسف الشامى تلميذ السيوطى فى سيرته النبوية « سبل الهدى والرشاد » . وقال فى فتوى شيخه : وناهيك باطلاع الشيخ ، وقد راجعت الكتب التى ذكرها فى آخر الكتاب فلم أر ذلك ، فشىء لا يوجد فى كتب الحديث والتواريخ كيف تصح نسبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم .اهـ . وقال المقرى فى فتح المتعال : وممن أنكره الإمام برهان الدين الناجى الدمشقى وجزم بعدم وروده . اهـ . ومنهم الشمس العلقمى ، والعلامة عبد الرءوف المناوى ، والعلامة محمد الشوبرى قدوة الشافعية فيما كتبه على المواهب اللدنية ،

والعلاّمة على الأجهورى المالكى فى شرح ديباجة مختصر المالكية على ما ذكره عنهم ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار ، والعلامة محمد الزرقانى فيما كتبه على المواهب اللدنية ، والعلامة أحمد المقرى فى فتح المتعال . ومن المتأخرين العلامة داود القلعى على ما حكاه عنه الفاسى فى رحلته . ومن أصحاب الرّحل أبوسالم العياشى وأبو العباس أحمد الدرعى وأبو العباس أحمد الفاسى ، غير أنهم قالوا بأنه وإن لم يصح فيزار بحسن النية لنسبته فى الجملة للمقام النبوى . والعلامة أحمد الشهير بابن العجمى فى رسالته تنزيه المصطفى المختار التى قدمنا ذكرها . وقطب الدين الحنفى فى « الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » . غير أن كلامه خاص بأثر المرفق فذكر أنه لم ير فى كلام أحد من المؤرخين من حقق ما يقال عنه . والعلامة محمد الحفنى الكبير فى حاشيته على شرح ابن حجر الهيثمى على الهمزية فى قول الناظم :

أو بلثم التراب من قدم لا   نت حياءً من مسها الصفواء

وقول ابن حجر عنه : « هذا الذى ذكره الناظم ذكره غيره ممن تكلم على الخصائص لكن بلا سند » فإنه علق عليه بقوله : « قوله بلا سند فى فتاوى الشارح[1] هل ورد أنه صلى الله عليه وسلم لانَ له الصخر

---

(١) أى المعروفة بالفتاوى الحديثية لا فتاواه الفقهية الكبرى وقد حذف العلامة الحفنى من السؤال قول السائل : « وأنه لم يعط نبى معجزة إلا أعطى نبينا صلى الله عليه وسلم مثلها أو واحد من أمته » لأنه غير داخل فيما أنكره المسئول ، بل أجاب عنه بقوله : « والتحقيق أنه لم يعط نبى معجزة إلا أعطى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مثلها أو أعظم منها »

وأثرت قدماه فيه ؟ وأنه إذا مشى عَلَى التراب لا تؤثر قدمه الشريفة فيه ؟ وأنه لما صعد صخرة بيت المقدس ليلة المعراج اضطربت تحته ولانت فأمسكتها الملائكة ؟ وأن الأثر الموجود بها الآن أثر قدمه ؟ وأنه صلى الله عليه وسلم لما جاء إلى بيت أبي بكر بمكة ووقف ينتظره ألصق منكبه ومرفقه بالحائط فغاص المرفق فى الحجر وأثر فيه وبه سمى الزقاق بمكة زقاق المرفق ؟ فأجاب بقوله : أجاب الحافظ السيوطى لما سئل عن ذلك كله فقال : لم أقف له عَلَى أصل ولا سند ولا رأيت من خرَّجه فى كتب الحديث » ثم قال عقب نقله عبارة ابن‌حجر المذكورة : « وقد ذكر الأئمة أن الحافظ إذا قال مثل هذه العبارة بقوله لا أعرفه دل عَلَى عدم وروده » اه .

أما المثبتون : فالإمام تقىّ الدين السبكى بقوله فى تائيته :

وأثر فى الأحجار مشيك ثمّ لم يؤثر برمل أو ببطحاء مكة

والعلامة القسطلانى فى المواهب اللدنية ، غير أن شارحها العلامة الزرقانى ردَّ عليه وناقشه فيما أورده . والعلامة شهاب الدين الخفاجى فى نسيم الرّياض شرح شفا القاضى عياض فى خاتمة أوردها عقب شرحه لفصل المعجزات الواقعة فى الجمادات من الباب الرابع الخاص بالمعجزات النبوية من القسم الأوّل . والعلامة عبد الغنى النابلسى فى الحضرة الأنسية فى الرحلة القدسية ، وقد أطال فى محاولة إثبات هذه الآثار ، وقال فى رده عَلَى من نفى من العلماء وجود سند لها بأن « الراجح إثبات ذلك ميلا إلى ما اتفق عليه عموم الناس واشتهر عَلَى ألسنة الخلف عن السلف وإن لم يكن لهم مستند فى ذلك فقد يكون لهم مستند وخفى عنا » اه .

وممن ذهب إلى إثباتها من المتأخرين العلامة أحمد زينى دحلان فى سيرته النبوية . قال العلامة ابن العجمى بعد أن لخص أقوال المثبتين من أهل عصره ومن قبلهم ما نصه : « وحاصل جميع ما تقدم الاعتراف بأن ذلك لا سند له وأنه على مجرد الشهرة ، وهو غير كاف فى إثبات نسبتها إليه صلى الله عليه وسلم ، لأن الخصوصيات لا تثبت بالاحتمالات ، لأنها من الأمور السمعية المحضة التى لا مجال للعقل فيها بنفسه ، فما وجدنا فيه نصًّا نتحدَّث به ونعتقده ، وما لا نصّ فيه نـكِل علمه إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولا نتـكلم به لعدم استقلال العقل فيه بنفسه دون نصّ » اهـ .

بقى أن الجلال السيوطى وإن أنـكر ذلك فى فتاواه فقد ذكره فى باب ما اختص به صلى الله عليه وسلم عن أمته فى أواخر خصائصه الصغرى نقلا عن رزين العبدرى ولـكن بلا سند وسكت عنه كالمقرّ له حتى نسبه بعضهم إلى الاضطراب والتردد ، وبعضهم إلى السهو والنسيان ، ولم يعرف أىّ الـكتابين أسبق فى التأليف حتى يعوّل عَلَى ما فى الأخير منهما ويُعدّ رجوعاً منه عما فى الأول . وقد حاوَل الشهاب الخفاجى فى شرح الشفا التوفيق بين صنيعيه بقوله : « قلت : لا سهو ولا نسيان فإن السّيوطى رحمه الله تعالى لم ينـكر هذه المعجزة ، وإنما أنـكر ما يؤثر بعينه فى الأماكن التى ذكروها » . قلنا : يصحّ ذلك لو أن السّيوطى اقتصر فى فتاواه عَلَى إنـكاره التأثير فى شيء بعينه ، ولـكنه مع إنـكاره ذلك فى بعض أحجار معروفة أنـكر أيضاً تلين الصخر وتأثير القدم

الشريفة فيه عَلَى العموم ، وهذا نصّ ما جاء فى السؤال الذى أجاب عنه :
« مسألة فيما هو جار عَلَى ألسنة العامة ، وفى المدائح النبوية ، أن النبىّ
صلى الله عليه وسلم لانَ له الصّخر وأثرت قدمه فيه ، وأنه كان إذا مشى
على التراب لا تؤثر قدمه فيه ، هل له أصل فى كتب الحديث أولا ؟ وهل
إذا ورد فيه شىء من خرّجه ؟ وصحيح هو أو ضعيف ؟ وهل ما ذكره
الحافظ شمس الدين بن ناصر الدّمشقى فى معراجه الذى ألفه مسجعًا ولفظه :
« ثم توجها نحو صخرة بيت المقدس وعلاها ، فصعد من جهة الشرق
أعلاها ، فاضطربت تحت قدم نبينا ولانت ، فأمسكتها الملائكة لما تحركت
ومالت » ألهذا أصل فى كتب الحديث صحيح أو ضعيف أو لا » إلى
آخر ما ذكر من السّؤال عن أثر القدم الذى هناك ، وعن أثر المرفق بمكة
وغير ذلك ، فأجاب عما ذكر بقوله : « لم أقف له على أصل ولا سند ،
ولا رأيت من خرّجه فى شىء من كتب الحديث » . اه . وذهب العلامة
ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار ، إلى أن المعتمد ما ذكره فى الفتاوى
لأن العلماء يتحرون فى فتاواهم أكثر مما يتحرون فى المصنفات .
وأما كتابه الخصائص فقد جمع فيه ما قيل إنه من الخصوصيات ولم يعتمد
جميع ما فيه ، ولكل مقام مقال . اه ملخصاً . قلنا : وفى قوله هذا نظر ،
لأنه لو كان قصد فى هذا الكتاب جمع ما قيل بلا اعتماد جميع ما فيه لنبه
على ذلك فى مقدمته أو خاتمته ، والمرجح عندنا أن عدم تعقبه ما نقله عن
رَزين بأنه لا أصل له ولا سند على ما قرره فى فتاواه لم يكن إلا سهواً منه
وجل من لا يسهو . والله أعلم .

واختم هذا البحث بما ختم به هذا الفاضل رسالته « تنزيه المصطفى المختار » فقال : « لا يخفى على ذوى البصائر أن ما ذكر آنفاً جميعه من عدم ثبوت هذه الأحجار المعينة بمصر وغيرها ، إنما الغرض منه تنزيه الجناب الرفيع الأعلى والمقام الأسنى ، عن أن ينسب إلى حماه الأجل الأحمى ، مالم يثبت عنه أصلا ، ولا ورد لا قولا ولا فعلا ، فلا يتوهم عاقل ألبتة من نفى ذلك نقصاً معاذ الله وحاشا وكلا ، بل ذلك يقتضى زيادة رفعته العظيمة، وأنافة منزلته الكريمة ، بحيث لا يحام حول ذلك الحمى الأعظم ، إلا بما ورد عنه صلى اللهُ عليه وسلم ، ونصّ عَلَى ثبوته من يوثق به من الأئمة الحفاظ الأعلام ، جهابذة الإسلام » .

الآثار التي بالقسطنطينية

هي المعروفة عند الأتراك بالأمانات المباركة ، ولم تزل محفوظة إلى اليوم بقصر طوبقبو بالقسطنطينية ، وكان بنو عثمان يبالغون في تعظيمها ، ويعدّونها من مفاخر دولتهم . والذي يذكره عنها مؤرّخو الترك ، أنها كانت عند الشرفاء أمراء مكة ، فلما استولى السلطان سليم عَلَى مصر سنة ٩٢٣ هـ طلبها من الشريف بركات أمير مكة وقتئذ ، فبعث بها إليه مع ولده أبي نُمَيّ ، فحملها السلطان إلى القسطنطينية في عودته إليها ؛ وذهب بعضهم إلى أنها كانت عند الخلفاء العباسيين الذين كانوا بمصر فتسلمها السلطان من آخرهم ، وهو المتوكل على الله ، محمد بن يعقوب[1] بل ربما تجد هذا الخلاف في الكتاب الواحد فترى الرأي الأول في موضع منه ثم ترى الثاني في موضع آخر بلا تنبيه أو إشارة ، غير أن أكثرهم

---

(١) هو آخر الخلفاء العباسيين بمصر بل آخرهم على الإطلاق وبموته انقرضت خلافتهم من الدنيا . وكان السلطان سليم العثماني بعد فتحه مصر أخذه معه إلى دار ملكه واعتقله بها ثم عاد بعد وفاته إلى مصر وأقام بها منعوتاً بالخليفة وبأمير المؤمنين إلى أن توفي في ولاية داود باشا سنة ٩٥٠ فما جاء في التاريخ التركي المسمى (علاوة لى أثمار التواريخ) من وفاته بالقسطنطينية ودفنه بجوار أبي أيوب الأنصاري غير صحيح فإن المدفون هناك أحد أقاربه الذين سافروا معه . وذكر قطب الدين الحنفي في الإعلام بأعلام بيت الله الحرام أن المتوكل هذا كان فاضلا أديباً وأنه اجتمع به في رحلته إلى مصر لطلب العلم سنة ٩٤٢ وأخذ عنه وأورد من شعره قوله مضمناً شطراً من لامية الطغرائي :

لم يبق من محسن يرجى ولا حسن ... ولا كريم إليــــه مشتكى حزني
وإنما ساد قوم غير ذي حسب ... (ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني)

وتمامه : (حتى أرى دولة الأوغاد والسفل)

على الرأى الأول ، والظاهر أن الرأى الثانى مبنى على الاستنتاج لا عَلَى النقل لتوهمهم أن وجود الآثار النبوية عند الخلفاء من مستلزمات الخلافة ومكملاتها ، فلما عاد السلطان سليم من مصر بالخليفة والآثار ، ظنوا أنه تسلمها منه .

وليس فى التواريخ العربية التى بأيدينا ذكر لهذه الآثار ولا إشارة إليها سوى أن ابن إياس لما ذكر قدوم ابن الشريف بركات على السلطان سليم بمصر قال عنهُ : « وأحضر صحبته تقادم فاخرة » والمراد بالتقادم الهدايا ، فلعل هذه الآثار كانت منها ، ولكن سكوته عن الإفصاح عنها — مع ما لها من الشأن وجلالة القدر — لا يخلو من نظر .

والذى استخلصناه عن الشريف بركات هذا من تواريخ الحجاز أنه بركات بن محمد بن بركات ، ولد بمكة سنة ٨٦١ ، وسافر إلى القاهرة سنة ٨٧٨ ، ورجع شريكا لوالده فى الإمارة ، ثم استقلّ بها بعد وفاته سنة ٩٠٣ ، ثم ثار عليه أخواه : الشريف هزّاع والشريف أحمد الملقَّب بالجازانى سنة ٩٠٤ ، ووقعت بينهم حروب آلت إلى ورود مرسوم السلطان الغورى من مصر بتولية هزّاع الإمارة فتولاها إلى أن توفى سنة ٩٠٧ ، فتولاها بعده أخوه أحمد ، ثم ورد المرسوم من مصر بإعادة بركات فأعيد ، ووقعت بينه وبين أحمد حروب وأهوال فى أثناء سنة ٩٠٨ ثم وصلت جنود من مصر فى ذى القعدة من تلك السنة فمال قائدها مع أحمد وأعاده وقبض على بركات وجماعة من الأشراف وجعلهم فى الحديد وعاد بهم إلى مصر بعد نهب دورهم ، فتألّم السلطان الغورى لذلك وأمر

بإطلاقهم وإكرامهم ، ثم فرّ بركات فى أواخر هذه السنة أو فى سنة ٩٠٩ فألفى أخاه أحمد قد قتل ، وتولى بعده أخوه حميضة ، ثم عاد بركات إلى الإمارة ، ووصله مرسوم الغورى سنة ٩١٠ ، وضخم ملكه وفُوّض إليه أمر الحجاز جميعه ، ثم شاركه فى الحكم ولده أبو نُمَىّ وهو صغير بأمر الغورى ، ولما استولى السلطان سليم عَلَى مصر سنة ٩٢٣ ، أرسل إلى الشريف بركات يطلب دخوله فى الطاعة ، فأجاب ، وأرسل ولده أبا نُمَىّ فقابل السلطان ولقىَ منه إكراماً ، ثم أعاده إلى والده شريكا له فى الإمارة كما كان إلى أن توفى والده سنة ٩٣١ ، فتولاها أبو نُمَىّ منفرداً ، وكانت ولادته ليلة ٩ ذى الحجة سنة ٩١١ ، ووفاته سنة ٩٩٢ عن ثمانين سنة . اهـ وقد ذكر ابن إياس قدومه إلى مصر وعودته منها ومقابلته للسلطان سليم فى حوادث سنة ٩٢٣ فقال فى حوادث جمادى الآخرة منها ما نصه : « وفى يوم الأحد خامس عشرة ، حضر إلى الأبواب الشريفة ابن السيد الشريف بركات أمير مكة ، وكان سبب حضوره أنه أتى ليهنئ ابن عثمان بمملكة مصر وأحضر صحبته تقادم فاخرة وحضر صحبته بيبردى بن كسباى أحد أمراء العشراوات الذى كان باش المجاورين بمكة » .اهـ . وقال فى حوادث رجب من تلك السنة : « وفى يوم الخميس رابعه خرج إلى السفر ابن السيد الشريف بركات أمير مكة فتوجه إلى وطاقه[1] الذى

---

(١) الوطاق محرف عن أوتاق وهو بالتركية الخيمة الكبيرة التى للعظماء . والمراد هنا مخيم الركب

بالريدانية[1] فكان له موكب حافل ، وخلع عليه السلطان قفطان[2] تماسيح مُذهب وقدّامه الرماة بالنّفط ، وخرج صحبته غالب الحجازيين الذين كانوا بالقاهرة ، وقد أشار عليه السلطان بأن الحجازيين الذين بالقاهرة تخرج صحبته إلى استنبول ، وأشيع أن السلطان سليم شاه كتب مراسيم للسيد الشريف بركات أمير مكة بأن يكون عوضاً عن الباشا الذى بها وجعله هو المتصرّف فى أمر مكة قاطبة وأضاف له نظر الحسبة بمكة أيضاً وأنصفه غاية الإنصاف ، وتزايدت عظمة السيد بركات الشريف إلى الغاية ، وأكرم ولده غاية الإكرام » .

مظاهرها ورسوم زيارتها : لما عاد السلطان سليم من مصر إلى القسطنطينية بهذه الآثار جعلها فى مسكن الحُرَم بقصر طوبقبو حتى هيأ لها حجرة خاصة بهذا القصر نقلها إليها ووكل بها من يقوم بخدمتها ، وكان يحتفل بزيارتها مع عظماء دولته فى شهر رمضان ، والغالب أن يكون ذلك فى منتصفه ، وسنّ لهذه الزيارة نظاماً ورسوماً مفصلة فى التواريخ التركية . ثمّ لما تولى السلطان مراد بن أحمد سنة ١٠٣٢ — وهو المعروف عندهم

---

(١) الريدانية شمالى القاهرة وتسمى الآن العباسية نسبة إلى عباس باشا الكبير والى مصر المتوفى سنة ١٢٨٠ وكان بنى بها قصراً لسكنه وثكنات للجند ومدرسة لتعليم الضباط ثم امتد عمرانها بعد ذلك واتصلت أبنيتها بالقاهرة وصارت قسما منها

(٢) القفطان ـ بضم فسكون على ما تنطق به العامة بمصر ـ لباس معروف يلبس تحت الجبة وأصله فى التركية قفتان بفتح فسكون وفى الفارسية خفتان بفتح فسكون أيضاً وقد رأيناه مستعملا فى عبارات المؤلفين وفى أشعار المولدين بالخاء كقول المسعودى فى مروج الذهب عن يعقوب بن الليث الصفار : « وأكثر لباسه خفتان مصبوغ فاختى » وورد كذلك فى شعر السلامى والوأواء الدمشقى من شعراء اليتيمة وغيرها .

بمراد الرابع — نقل الآثار إلى حجرة أخرى خصها بها فى هذا القصر وأبقى نظام زيارتها كما هو ، وما زال كذلك إلى أن أبطله السلطان محمود ابن عبد الحميد المعروف بمحمود الثانى سنة ١٢٤٠ ، واستعاض عنه بنظام آخر بقى متبعاً عندهم إلى انقراض دولتهم بخلع الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز ، وإخراج أسرة بنى عثمان من المملكة سنة ١٣٤٢ . وكانت لهم عناية كبيرة فى الاحتفال بهذه الزيارة فى منتصف شهر رمضان بحضور السلطان ووزرائه وعظماء دولته ، ويسمونها زيارة الأمانات المباركة ، أو زيارة الخرقة الشريفة ، أو خرقة السعادة ، لأن بينها قطعة من ثوب يزعمون أنها البردة التى وهبها صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير رضى الله عنه[1] . وما زالت هذه الآثار إلى اليوم فى حجرتها بهذا القصر محفوظة فى صناديق من الفضة المذهبة .

بيانها : فى هذه الآثار ما هو منسوب إلى النبى صلى الله عليه وسلم وفيها ما هو منسوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام أو بعض الصحابة رضى الله عنهم . وهى كثيرة لم يذكر أصحاب التواريخ التركية إلا أهمها . وقد رأينا أن نسردها على علاتها كما سردوها ، ثم نعقبها ببيان رأينا فيها ، وهى :

---

(١) تقدم فى فصل البردة والقضيب أن القرمانى ذكر هذه البردة فى تاريخه (أخبار الدول) وقال إنها عند سلاطين آل عثمان يتباركون بها ويسقون ماءها لمن به ألم فيبرأ بإذن الله ، وأن السلطان مراداً اتخذ لها صندوقاً من ذهب تعظيما لها وتوقيراً . وقد بينا هناك ما وقع فى كلامه من الوهم عن مصير هذه البردة إلى بنى عثمان فليراجع .

سنٌّ من الأسنان النبوية ، نعلان نبويتان ، خرقة السعادة وهى عَلَى زعمهم البردة التى وهبها صلى الله عليه وسلم لكعب بن زهير ، حجر عليه أثر القدم الشريفة ، السجادة النبوية ، قبضة سيف من السيوف النبوية ، القوس النبوية ، اللواء النبوى ، ماء من الغُسْل النبوى ، قِدْر منسوبة لنوح عليه السلام ، مِرجل كان لخليل الله إبراهيم عليه السلام ، سيف داود عليه السلام ، عصا شعيب عليه السلام . قميص يوسف عليه السلام ، ميزاب من الذهب كان بالكعبة المعظمة(١) ، غطاء باب التوبة(٢) (ولعله حلية كانت عليه) ، حلية من الفضة كانت عَلَى مقام إبراهيم عليه السلام بالحرم المكى ، قطعة من الخزف ، سجادة الصديق رضى الله عنه ، عمائم الخلفاء الأربعة رضى الله عنهم وسيوفهم وراياتهم وسُبحاتهم ، قبضات ستة سيوف من سيوف العشرة المبشرين بالجنة رضى الله عنهم ، رايتا الحسن والحسين عليهما السلام ، سيف جعفر الطيار رضى الله عنه ، سيف خالد ابن يزيد من الصحابة (ولعلهم يريدون خالد بن الوليد رضى الله عنه) سيف شُرَحبيل بن حَسنة أحد الأصحاب رضى الله عنه ، سيف مُعاذ بن جبل من الأصحاب رضى الله عنه ، تاج أُوَيس القَرَنى رضى الله عنه ، مصحف يزعمون أنه بخط الإمام علىّ بن أبى طالب عليه السلام ، مصحف يزعمون أنه بخط عثمان رضى الله عنه ، مصحف بخط زين العابدين

---

(١) لعله مفتاح قديم لها فإن مفاتيح الكعبة عند بنى شيبة ، وكان يعمل لها بمصر كيس من الديباج الأخضر المطرز يرسل به إلى مكة مع الكسوة ويجدد كل سنة .

(٢) باب التوبة باب صغير بالكعبة المعظمة يفضى إلى سلم يصعد عليه إلى سطحها .

من الصحابة (ولعلهم يريدون الإمام عليا زين العابدين ابن الإمام الحسين عليهما السلام ولم يكن من الصحابة لأنه ولد فى خلافة جدّه).

هذا ما سردوه فى تواريخهم فى بيان أهم الأمانات المباركة، وذكروا أيضاً فى كلامهم عَلَى إمارة مكة أَن الشريف أرسل إلى السلطان مع هذه الأمانات بمفاتيح مكة إشارة إلى دخوله فى طاعته وتسليمه البلد إليه. ويذكرون فى خبر تَولى السلطان مراد بن أحمد المُلْك سنة ١٠٣٢، وهو المعروف بمراد الرابع، أنهم احتفلوا فى اليوم التالى ليوم مبايعته بتقليده السيف فقلدوه سيفين أحدهما سيف نبوىّ والآخر سيف السلطان سليم بن بايزيد، وأَنه لاث يومئذ عَلَى رأسه عمامة يوسف عليه السلام المجلوبة من مصر من خزانة السلطان الغورى، وكان المعروف أن بين هذه الآثار شعرات نبوية سنفصّل الكلام عليها فى فصل الشعرات الشريفة.

حكمها: لايخفى أَن بعض هذه الآثار تحتمل الصحة، غير أَنا لم نر أحداً من الثقات ذكرها بإثبات أَو نفى، فالله سبحانه أَعلم بها. وبعضها لايسعنا أن نكتم ما يخامر النفس فيها من الريب ويتنازعها من الشكوك، ولا سيما فيما نسب للأَنبياء نوح والخليل وداود وشعيب ويوسف، صلوات الله وسلامه عليهم مع بعد العهد وتقادم الزمن، وكذلك السُّبَح المنسوبة للخلفاء الأربعة، فإن السبح بهذا الشكل المعروف لم تكن حدثت فى ذلك العصر، وإنما كانوا يعدون التسبيح بالأنامل وبالنوى والحصا وعَقْد العُقَد فى الخيوط كالخيط الذى كان لأبى هريرة رضى الله عنه. وقد جمع الإمام السيوطى جزءاً فى ذلك سماه «المنحة فى السبحة»

وهو مفيد فليراجع . ومما يتوقف فيه زعمهم فى المصحفين أنهما بخط الإمامين على وعثمان رضى الله عنهما . وقد تقدم فى فصل الآثار النبوية التى بعصر ذكر مصحف معها قيل إنه بخط أمير المؤمنين أيضاً ، وآخر قيل إنه بخط ذى النورين ، وأشرنا هناك إلى استبعادنا صحة ذلك والله أعلم .

أما مفاتيح مكة التى ذكروها فلا ندرى أأُرجعت أم عملت لمكة مفاتيح غيرها ، فإن مفاتيحها حملت إلى دار المُلك مرة أُخرى سنة ١٢٢٨ بعد انتزاع الحجاز من الوهابية مدة العزيز محمد علىّ ، وكان أرسل بها مع مملوكه لطيف أغا مبشراً بالفتح ، وذكر الجبرتى خبر وصوله إلى القسطنطينية واحتفالهم به بما نصه : « وعند دخوله إلى البلدة عملوا له موكباً عظيما مشى فيه أعيان الدولة وأكابرها وصحبته عدة مفاتيح زعموا أنها مفاتيح مكة وجُدة والمدينة ، وضعوها عَلَى صفائح الذهب والفضة ، وأمامها البخورات فى مجامر الذهب والفضة والعطر والطيب ، وَخلفهم الطبول والزمور ، وعملوا لذلك شنكا ومدافع ، وأنعم عليه السلطان وأعطاه خلعاًوهدايا وكذلكأكابر الدولة ، وأنعم عليه الخنكار بطوخين[١] وصار يقال له لطيف باشا » اه .

وكانت نهاية لطيف باشا هذا أنه عاد إلى مصر مزوّداً من رجال الدولة

---

(١) الطوخ يقال له فى التركية (توغ) بالتاء والغين المعجمة وهو دخيل فيها من الفارسية ، وكان قديماً فى الدولة العثمانية من الشارات الخاصة بذوى الرتب من رجالها وهو خصلة من ذنب الفرس تعلق على رمح يرفع على رأس العظيم منهم ، وكان الرسم أن يكون لأمير اللواء توغ واحد على الرمح فإذا كان أميراً للأمراء علق على رمحه توغان وكان للوزير ثلاثة وللصدر الأعظم خمسة وللسلطان فى زمن الحرب سبعة .

بإثارة فتنة تنتزع فيها مصر من العزيز محمد علىّ وهو غائب بالحجاز ويولى
هو عليها ، فأحس بذلك محمد بك لازأوغلى كتخدا مصر أى وزيرها ،
وتدارك أمره قبل استفحاله فقبض عليه وقتله فى ذى الحجة سنة ١٢٢٨ ،
ولهذا لما أراد خديو مصر العزيز إسماعيل بن إبراهيم إقامة تمثال لجده محمد
على بالإسكندرية وآخر لأبيه إبراهيم بالقاهرة ، أقام أيضاً بالقاهرة تمثالا
لسليمان باشا الفرنساوى لتنظيمه الجيش وآخر لمحمد بك لازأوغلى لحفظه مصر لهم
ولهذا جعلوه مادًّا ذراعه يشير بإصبعه إلى الأرض كناية عن تثبيته ملكهم
بأرض مصر ، ولم يكونوا وجدوا له صورة يصوغون التمثال عليها فأرشدهم
وقتئذ أحد من أدركه إلى تاجر تركى بخان الخليلى يشبهه فصاغوا التمثال عَلَى
مثاله ، وهو قائم الآن فى ميدان بشارع الدواوين يسمى بميدان لازأوغلى
وكانت وفاته سنة ١٢٤٣ ودفن حسب وصيته فى قبة الشيخ يوسف
بشارع القصر العينى عن يمين المار به إلى مصر العتيقة ، ودفنت بجواره
زوجته المتوفاة سنة ١٢٥٠ ، وليس فى القبة غير هذه القبور : قبر الشيخ
يوسف فى الشمال ، ويليه قبر المرحوم محمد بك فى وسط القبة ثم قبر زوجته .
وفى جنوبى هذه القبة قبة مثلها ليس بها قبور . جعلت الآن مسجداً ،
وموضع التمثال لا يبعد كثيراً عن القبتين .

الشعرات الشريفة

قال العلامة ابن العجمى فى تنزيه المصطفى المختار : « ثبت فى الصحيحين بروايات متعددة أن النبي صلى الله عليه وسلم حلق رأسه الشريف فى حجة الوداع وقسم شعره أو أمر أبا طلحة وزوجته أم سُلَيم بقسمته بين الصحابة الرجال والنساء الشعرة والشعرتين . قال العلامة ابن حجر فيه : إنه يُسَنُّ بل يتأكد التبرك بشعره صلى الله عليه وسلم وسائر آثاره » انتهى . وذكر القسطلانى الروايات فى ذلك عن الشيخين فى كلامه على حجة الوداع من المواهب اللدنية وجاء فى شرحها لسيدى محمد الزرقانى أن روايات الشيخين فى ذلك من طرق مدارها على محمد بن سيرين عن أنس وأنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره بين أصحابه ليكون بركة باقية بينهم وتذكرة لهم ، وكأنه أشار بذلك إلى اقتراب الأجل ، وخص أبا طلحة بالقسمة التفاتاً إلى هذا المعنى لأنه هو الذى حفر قبره ولحد له وبنى فيه اللبن . انتهى . وفى كتاب الشمائل من المواهب اللدنية المذكورة مانصه : « وعن أنس قال : رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه وأطاف به أصحابه فما يريدون أن تقع شعرة إلا فى يد رجل . رواه مسلم » وفى الشرح أن ذلك كان فى حجة الوداع ، ثم قال فى المواهب : « وعن محمد ابن سيرين قال : قلت لعَبيدة عندنا من شعر النبى صلى الله عليه وسلم أصبناه من قِبَل أنس أو من قِبَل أهل أنس فقال : لأن تكون عندى

شعرة منه أحب إلى من الدنيا وما فيها رواه البخارى » . وفى الشرح : أن وجه حصوله لمحمد أن سيرين والده كان مولى أنس ، وأنس ربيب أبى طلحة وكان أول من أخذ من شعره كما فى الصحيح . انتهى . قلنا : وسبب كونه ربيبه أن أم سُلَيم بنت مِلْحَان بن خالد الأنصارية كانت متزوجة بمالك بن النضر فى الجاهلية فولدت منه أنساً هذا وهو خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تزوجها بعده فى الإسلام أبو طلحة فما أصابه ابن سيرين من الشعر الشريف إنما وصل إلى أنس مما كان عند أمه أو زوجها أبى طلحة . وفى البداية والنهاية لابن كثير عن عثمان بن عبد الله بن موهب قال : دخلنا عَلَى أم سلمة فأخرجت لنا من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو أحمر مصبوغ بالحناء والكَتَم . رواه البخارى . انتهى . وفى رواية أخرى أنها كانت خمس شعرات حُمْر . وفى حديث رواه الإمام البخارى أيضاً فى باب صفة النبى صلى الله عليه وسلم أن ربيعة بن أبى عبد الرحمن رأى شعراً من شعره فإذا هو أحمر فسأل فقيل احمرّ من الطيب . وفى الخصائص الصغرى للإمام السيوطى المسماة بأنموذج اللبيب أنه صلى الله عليه وسلم قسم شعره عَلَى أصحابه . وقال فى خصائصه الكبرى: « أخرج سعيد بن منصور وابن سعد وأبو يعلى والحاكم والبيهقى وأبو نُعَيم عن عبد الحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم اليرموك فطلبها حتى وجدها وقال : اعتمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها فى هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهى معى إلا رزقت النصر » . وفى فصل تحقيق

الإسراء والمعراج من نسيم الرياض شرح شفا القاضى عياض للعلامة شهاب الدين الخفاجى أن معاوية رضى الله عنه كان عنده إزار رسول صلى الله عليه وسلم ورداؤه وشىء من شعره وظفره فكُفّن بردائه وإزاره وحشى شعره وظفره بفيه ومنخره بوصية منه . انتهى .

قلنا : فما صح من الشعرات التى تداولها الناس بعد ذلك فإنما وصل إليهم مما قسم بين الأصحاب رضى الله عنهم ، غير أن الصعوبة فى معرفة صحيحها من زائفها ، وسنورد ما اتصل بنا من أخبارها كما بلغنا وعلى ما رأيناه مسطوراً ، تاركين للقراء الكرام الحكم فيها بما تطمئن إليه نفوسهم .

الشعرات الواردة فى الأخبار

شعرة كانت عند المرشدىّ بمكة : ذكرها العلامة السخاوىّ فى الضوء اللامع فى ترجمة أبى عبد الله محمد بن أبى بكر المعروف بالمرشدىّ المولود سنة ٧٦٣ بمكة والمتوفى بالمدينة سنة ٨٢٩ فقال عنه : « كان خيّراً ديّناً ورعاً زاهداً متجمعاً عن الناس ، زار النبى صلى الله عليه وسلم أكثر من خمسين سنة مشياً عَلَى قدميه ، وكذا زار بيت المقدس ثلاث مرار ولقى بها رجلا صالحاً كانت عنده ست شعرات مضافة للنبى صلى الله عليه وسلم ففرّقها عند موته عَلَى ستة أنفس بالسوية كان هذا أحدهم كما سبق فى ترجمة ولده عمر » انتهى . والصواب أنه فرّقها عَلَى ثلاثة أنفس لا ستة عَلَى ما ذكره فى ترجمة ولده المذكور عمر بن محمد المرشدىّ المتوفى سنة ٨٦٢ فإنه قال فيها :

« وكانت عنده شعرة مضافة للنبي صلى الله عليه وسلم تلقاها عن أبيه المتلقى لها عن شيخ ببيت المقدس كانت عنده ست شعرات ففرقها عند موته بالسوية على ثلاثة أنفس هو أحدهم فضاعت شعرة منهما وقد تبركت بها عنده سنة ست وخمسين » انتهى . ومراده أنه تبرك بها فى مكة لما حج. ثم ورث هذه الشعرة أبو حامد المرشدى عن أبيه عمر المذكور ، وذكرها السخاوىّ فى ترجمته بالضوء اللامع فى باب الكنى لأن كنيته اسمه وهو أبو حامد بن محمد المرشدى المولود تقريباً سنه بضع وخمسين وثمانى مائة قال السخاوى : « وهو خيّر متعبد زائد الفاقة عنده شعرة منسوبة للنبى صلى الله عليه وسلم ورثها من أبيه » . قلنا : وقد زار العلامة القسطلانىّ هذه الشعرة وذكرها فى كتاب الشمائل من المواهب اللدنية فقال : « وقد رأيت بمكة المشرفة فى ذى القعدة سنة ٨٩٧ شعرة عند الشيخ أبى حامد المرشدىّ شاع وذاع أنها من شعره صلى الله عليه وسلم زرتها صحبة المقام الغَرْسىّ خليل العباسىّ وَالى الله إحسانه عليه » .

شعرة أخرى كانت بمكة : ذكرها ابن العجمىّ فى تنزيه المصطفى المختار نقلا عن العلامة ابن حجر الهيثمى ونص عبارته : « بمكة شعرة من شعره المكرم مشهورة تزار ، واتفق الخلف عن السلف أنها من شعره صلى الله عليه وسلم » انتهى . ولا ندرى أهى الشعرة التى كانت عند آل المرشدىّ أم غيرها . ثم استطرد إلى ذكر فتوى لابن حجر عن شعرة كانت عند أخوين آثرنا نقلها لتضمنها خبر إحدى الشعرات النبوية ، ونصّ ما قال : « وأفاد فى فتاويه أنه سئل عن شعرة من شعر النبى صلى الله عليه وسلم

على ما قيل كانت عند أخوين يزورها الناس وما يحصل من الفتوح يقسم بينهما ثم ماتا فهل إذا طلب ورثتهما قسمتها تقسم كما فعل بعض جدودهم ذلك وقَسَمها أم لا ؟ فأجاب بقوله هذه الشعرة الشريفة لا تورث ولا تملك ولا تقبل القسمة ، فالمذكورون مستوون فى الاختصاص بها والخدمة لها لا تمييز لأحد منهم على أحد » انتهى .

شعرات كانت بتونس : أفادنا عنها عَلَم من أعلام تونس الثقات ، وكانت بثلاثة أماكن :

أحدها : قبر الصحابىّ الجليل سيدى أبى زَمْعة البلوىّ [1] دفين القيروان وكان أخذ من الشعرات الشريفة يوم منى فى عام حجة الوداع لما حلق رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه ووضعها أبو زمعة فى قلنسوته إلى أن استشهد فى القيروان فدفنت معه . قلنا : وقد راجعنا ترجمته فى معالم الإيمان فى معرفة أهل القيروان للعلامة عبد الرحمن بن محمد الدباغ فرأينا بها ما نصه : « ومات بالقيروان ودفن بالبقعة التى تعرف الآن بالبلوية سميت به من ذلك الوقت وأمرهم أن يستروا قبره ودفن معه قلنسوته وفيها من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليما ، وذكره الشيخ أبو القاسم عبد الرحمن ابن محمد بن رشيق فى كرامات أهل إفريقية . قلت : ونعرف من حفظى أنه

(١) اسمه عبد غير مضاف إلى الله وقيل عبيد بالتصغير ابن أرقم البلوى ذكره الحافظ ابن حجر فى الإصابة وابن الأثير فى أسد الغابة فى عبد وفى عبيد، قالا وهو مشهور بكنيته . ثم ترجماه فى الكنى وقال الحافظ ابن حجر : وقيل اسمه عبيد بن آدم ، والذى فى معالم الإيمان عبيد الله بن آدم .

كان فيها ثلاث شعرات وأنه أوصى أن تعمل شعرة على عينه اليمنى وشعرة عَلَى عينه اليسرى وشعرة عَلَى لسانه » . انتهى .

الثانى : قال الوزير السراج الأندلسى ثم التونسى : تواتر الخبر بأن بدار الأشياخ بتونس شعرات من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهى الآن بالزاوية البرانية بخارج باب قرطاجنة المعروفة بزاوية ولىّ الله المرجانى، قال ابن الدباغ :أرانى إياها حفيده أبو فارس عبد العزيز فتبركت بها ، وبها براءة قديمة مكتوب فيها صحة كونها من شعره صلى الله عليه وسلم ، وبها أثر صفرة ، قال : وكان شيخنا أبو صالح البطرينى يصحح لنا كون ذلك حقاً .

الثالث : قال الوزير : ومن الأماكن أيضاً ماحدثنى والدى حفظه الله تعالى أن الشيخ أبا شعرة المدفون بالزلاج وقبته معروفة وحولها فضاء مسور به شجر زيتون ، وإنما سمى أبا شعرة لقضية وهي أنه كان حرفته البناء ، فقادته أزمة السعادة أنه اصطنع لبعض الأكابر بناءات ضخمة تجمع له فى أجرها مال ذو بال ، وكان فى بعض خزائن صاحب البناءات شعرة من شعرات نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقال له أبو شعرة : أعطنى الشعرة الكريمة وأبرأك الله من جميع ماترتب لى بذمتك . فأعطاه إياها فأوصى بدفنها معه ، فدفنت معه . تواتر النقل بذلك عند أهل تونس انتهى .

شعر كان عند الخلاطى بمصر: ذكره الحافظ ابن حجر العسقلانى فى ترجمته بالدرر الكامنة فقال : إنه علىّ بن محمد بن الحسن الخلاطىّ الحنفى القادوسى المتوفى سنة ٧٠٨ وكان يقال له الركابى لزعمه أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال: وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره .

انتهى باختصار، وستأتى ترجمته بنصها فى فصل الركاب النبوى .

شعرة كانت بمدرسة ابن الزمن بمصر : قال العلامة السخاوى فى ترجمته بالضوء اللامع : إنه شمس الدين محمد بن عمر بن محمد بن عمر الزمن القرشى الدمشقى ثم القاهرى الشافعى المعروف بابن الزمن المولود سنة ٨٢٤ والمتوفى سنة ٨٩٧ ، وكان مشتغلا كأبيه بالتجارة واجتمع بعلماء كثيرين ذكرهم ثم قال : « وكذا لقى غير واحد من الصالحين ، ووقع له مع بعضهم غرائب وكرامات انتفع بهـا ، وأعطاه شخص منهم يسمى بيرجمال[1] الشيرازى شعرة تنسب للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال إنها عنده ، وكذا أحضر له من خيبر بعض الأحجار المنسوب أن بها أثر القدم الشريفة ، وكتاب قيل إنه بخط أحد كتاب الوحى ، والكل محفوظ بالمدرسة التى شرع فى إنشائها بشاطىء بولاق » . انتهى .

شعرات كانت بجامع برسباى بالخانقاه : وهى قرية بمصر شمالى القاهرة عَلَى بريد منها تعرف بخانقاه سرياقوس لقربها من سرياقوس ، وكان السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون أنشأ فى هذا المكان خانقاها للصوفية ومسجداً وحماما وغير ذلك سنة ٧٢٣ ثم رغب الناس فى السكنى حول هذه الخانقاه وبنوا الدور والحوانيت حتى صارت بلدة كبيرة مازالت باقية إلى اليوم وتسميها العامة : الخانكة . ثم لما تولى السلطان الملك الأشرف برسباى التركمانى عَلَى مصر سنة ٨٢٥ وسافر إلى آمد لقتال ملكها سنة ٨٣٢ نزل

(١) البير بكسر الباء الأعجمية يطلق على الشيخ المسن فى التركية وهو دخيل فيها من الفارسية ، ويطلق أيضاً على الشيخ من مشايخ الصوفية الأعاجم وهو المراد هنا .

بمكان خال من هذه البلدة فنذر إن أحياه الله وظفره بعدوه ورجع سالما ليعمرن في هذا المكان مدرسة وسبيلا ، فلما ظفر بعدوه ورجع أنشأ هناك جامعاً عظيما[1] مفروشة أرضه بالرخام الملون ، وبنى بجواره سبيلا قال الإسحاقى في تاريخه (لطائف أخبار الأول) : وقيل إن بمحراب الجامع المذكور تسع شعرات من شعر النبي صلى الله عليه وسلم ، وفى معنى ذلك قال الشاعر :

الأشرف السلطان عمر جامعاً بالخانقاه ليرتجمْ[2] بثوابه
وأتى بآثار النبي محمد شعراته قد قيل فى محرابه
وإمامه بين البرية محسن وكذا القضاة مع الشهود ببابه

انتهى . ولما وصل العلامة عبد الغنى النابلسى إلى مصر فى رحلته إليها فى أوائل القرن الثانى عشر مرّ على بلدة الخانقاه ونزل بها وذكرها فى (الحقيقة والمجاز ، فى رحله الشام ومصر والحجاز) وذكر مدرسة الأشرف برسباى بقوله : « وفى البلدة المذكورة جامع السلطان الملك الأشرف وهو جامع عظيم ، له قدر بين الجوامع جسيم ، وذلك أن فى محرابه شعرات مدفونة من شعرات الرسول عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم . وقد أنشدنا فيه بعض الناس من الجزل ، لبعض أصحاب الرقة والغزل ، قوله :

بلدة الخانقاه مذ قد تجلت قد حلت وانجلت حلاها السنية

---

(١) كانت دروس العلم تلقى بالمساجد وماخصص منها لذلك كان يعبر عنه تارة بالمسجد وبالجامع وتارة بالمدرسة .

(٢) سكن آخره لضرورة الوزن .

مذ بدت فى الورى عروس حلاها نقطوها الملوك بالأشرفية [1] » اﻫ

شعرات كانت عند منجك اليوسفى : ذكرها النعيمى فى تنبيه الطالب وإرشاد الدارس إلى ما بدمشق من الجوامع والمدارس فى كلامه عَلَى المدرسة المنجكية التى أنشأها للحنفية الأمير سيف الدين منجك اليوسفى الناصرى المتوفى بالقاهرة سنة ٧٧٦ وكان مملوكا للناصر محمد بن قلاوون وتنقلت به الأحوال فولى عدة ولايات كنيابة طرابلس وحلب ودمشق وصفد ، ثم طلب إلى القاهرة وولى نيابة المملكة إلى أن توفى بها . قال النعيمى فى ذكر مناقبه : « ومن سعادته أنه ظفر بشعر من شعر النبى صلى الله عليه وسلم فكان لا يزال معه وكان حسن الملتقى سيما لأهل العلم » ومثله فى مختصر هذا الكتاب للشيخ عبد الباسط العلموىّ .

(١) قوله (نقطوها) أتى بها على لغة أكلونى البراغيث ، وفى بعض كتب الأدب (نقطتها) والتنقيط عند العامة إهداء التحف للعروس ليلة عرسها والانعام على المغنين بالجوائز والاسم منه النقطة بضم فسكون . وفى قوله الأشرفية تورية لأنها كما يراد بها المدرسة الأشرفية فانها كانت تطلق أيضا على دنانير أحدثها الملك الأشرف برسباى سنة ٨٣١ ثم تساهلوا بعد ذلك فى التعبير عن كل دينار بالأشرفى منسوبا إلى ضاربه كالأشرفى الغورى والأشرفى السليمى وأطلق أيضا على نوع من الدراهم ، وقد حرفته العامة فقالت : فيه (شريفى) بكسر أوله وثانيه وكانوا يعبرون به عن الدينار إلى أوائل القرن الماضى ثم لم يبق له ذكر إلا فى أقاصيص العجائز .

الشعرات الباقية إلى اليوم

شعرات المسجد الحسينى بالقاهرة : منها الشعرتان اللتان كانتا مع الآثار النبوية بقبة الغورى ونقلتا معها إلى هذا المسجد، وهما فى زجاجة محفوظة فى صندوق صغير من الفضة ملفوف بلفافة من الديباج الأخضر المطرز، وقد تقدم ذكرهما فى فصل الآثار التى بمصر. ثم أضيفت إليهما شعرة كانت عند أحمد طلعة باشا وكان من رجال مصر المشهورين ومن الكتاب المجيدين الإنشاء باللغة التركية تولى رئاسة الديوان الخديوى مرات مدة والى مصر محمد سعيد والخديوى إسماعيل وابنه الخديو توفيق وكان دخوله فى الخدمة فى ١٦ جمادى الأولى سنة ١٢٥٤ زمن العزيز محمد على واستقال فى جمادى الأولى سنة ١٣٠١ فأقيل مكرماً ورتب له المرتب الكافى فأقام فى داره بشارع السيوفية بالقاهرة مقبلا عَلَى العبادة والأعمال الصالحة إلى أن توفى يوم الأحد ٢ جمادى الثانية سنة ١٣٢٢. وكان المشاع عَلَى الأفواه أن هذه الشعرة حباه بها السلطان فى إحدى سفراته إلى القسطنطينية موفداً من الخديو لتسوية بعض الأمور، ولكن المحقق عند أسرته أنها أهديت إليه من أحد الحجازيين عَلَى أنها من الشعر الشريف فعوضه عنها شيئاً كثيراً، ولما توفى اتفق بنوه على إهدائها للمسجد الحسينى لتحفظ فيه مع الآثار النبوية وكانت محفوظة عندهم فى قارورة فتبرعت لها السيدة خديجة كبرى بناته بصندوق من الفضة وضعت فيه الزجاجة ولف بسبع لفائف من الديباج الأخضر، ثم حملت بالتعظيم والإجلال إلى المسجد فحفظت فيه

مع الآثار وهى مجهولة المصدر لا يعلم من أين وقعت لهذا الحجازى . وفى سنة ١٣٤٠ أو ١٣٤١ أضيفت إليها شعرات كانت بالرباط المعروف بتكية[1] الكلشنى بشارع تحت الربع فى قارورة مختومة بالشمع الأحمر ومحفوظة فى صندوق من الخشب والزجاج موضوع فى خزانة من الخشب والزجاج أيضاً من الصناعة العربية البديعة ، فرأى وزير الأوقاف نقلها إلى المسجد الحسينى وحفظها مع الآثار النبوية فنقلت ، وأمرها أيضاً مجهول لا يعلم من أين أتت للرباط . ثم فى شوال سنة ١٣٤٢ أحضرت الحاجة ملكة حاضنة الأمير كمال الدين ابن السلطان حسين سلطان مصر الساكنة بشارع المبتديان بالقاهرة قارورة صغيرة إلى المسجد الحسينى وأخبرت أن بها شعرات من اللحية النبوية الشريفة وأنها تريد إهداءها لتحفظ مع الآثار فأجيبت إلى ذلك ، وكانت القارورة ملفوفة بقطعتين من الديباج الأخضر وموضوعة فى صندوق صغير مكسو بالمخمل الأحمر وملفوف بثلاث لفافات من الديباج الأخضر ثم بلفافة من المخمل البنفسجى مطرزة الحواشى . وهي خمس شعرات على ما يقال مجهولة الأصل أيضاً .

شعرة رباط النقشبندية بالقاهرة : المعروف بتكية النقشبندية بشارع درب الجماميز عن يسار السالك به من ميدان باب الخلق وهى من إنشاء والى مصر

(١) التكية رباط الصوفية وكانوا يسمونها بالخانقاه وهى فى لغة عامة مصر بفتح التاء وكسر الكاف وفتح الياء المشددة وفى اللغة التركية والفارسية بفتح التاء وسكون الكاف وفتح الياء المخففة ، وقد يحرفها الأتراك فيقولون فيها تكه بفتحتين بلا ياء

عباس باشا الكبير، وسبب إنشائها أنه كان عظيم الاعتقاد في الشيخ محمد عاشق النقشبندي فطلب منه أن يبنى له و لصوفيته مكاناً للسكن و العبادة فبنى لهم هذه التكية سنة ١٢٦٨ وجعل بها مصلى وحجراً للصوفية وداراً لشيخهم وأنشأ بها حديقة ووقف عليها أوقافا كثيرة. ثم لما توفى الشيخ محمد عاشق المذكور سنة ١٣٠٠ دفن بها في مقصورة ولم يعقب ذكوراً فتولى عليها سبطه السيد عثمان خالد وما زال بها إلى الآن. وكانت والدة عباس باشا المذكور لما حجت أحضرت معها من الحجاز شعرة أهديت إليها على أنها من الشعر الشريف، فلما حضرتها الوفاة سلمتها للشيخ محمد عاشق وطلبت منه حفظها بالتكية ليتبرك الناس بها وهي ملصقة بقطعة من الشمع ومحفوظة في ثلاثة صناديق صغيرة الواحد داخل الآخر وكان الشيخ يحتفل بإخراجها في ليلة المولد النبوى وليلة الإسراء ويدعو لذلك العلماء وكبار رجال الدولة والأعيان ويولم لهم ثم يخرجها من الصناديق ويمسح بها على جفونهم وينااله منهم الشيء الكثير، ثم بطل هذا الاحتفال بعد موته وجعلها سبطه بصناديقها في صندوق أكبر منها علقه على المقصورة التى بها قبر جده، وهى باقية إلى اليوم كذلك.

شعرات القسطنطينية: أفادنا صديقنا العلامة السيد عبد الله مخلص[1] المقيم الآن بحيفا أنها كانت يوم تولى السلطان محمد رشاد بن عبد المجيد المعروف بمحمد

---

(١) وهو حفظه الله وأدام النفع به الذى أفادنا أيضا عن الشعرات التى ببعض البلاد الفلسطينية الآتى بيانها.

الخامس[1] ثلاثاً وأربعين شعرة محفوظة مع الأمانات المباركة، وأنه أهدى منها إلى بعض المدن بالمملكة العثمانية أربعاً وعشرين وبقى تسع عشرة يرجح أنها باقية إلى اليوم، لأن الفترة التى تلت موت رشاد وتولى فيها وحيد الدين ثم عبد المجيد كانت فترة قلاقل وفتن، ثم تلاها عصر إلحاد ومروق من الدين ويبعد أن يفكر أحد فى هاتين المدتين فى الآثار النبوية وإهداء الشعرات الشريفة منها. قلنا: وقد علمنا أن السلطان رشاداً أهدى ملكة بهوبال شعرة منها أيضاً، فيكون الباقى الآن ثمانى عشرة، والله أعلم.

شعرات أخرى بالقسطنطينية: كان المعروف أن ببعض مساجدها شعرات مفرقة بينها غير التى بالأمانات المباركة، وقد نقلت ثلاث منها إلى ثلاث مدن بفلسطين كما سيأتى. وأخبرنا أستاذنا العلامة الأكبر الشيخ عبد الرحمن قراعة الذى كان مفتياً بالمملكة المصرية عن المولى نورى أفندى آخر قضاة الدولة العثمانية بمصر أنه كان عنده شعرات نبوية، قال: وأظنه أخبرنى أنها ثلاث كانت متوارثة فى أسرة والدته وكانت خالته آخر من كان يحفظها منهم، ثم رأته أجدر بها منها فسلمتها إليه ليقوم بحفظها فى حياته وتبقى فى أسرته من بعد. ولا يعلم الآن عن هذه الشعرات ولا عن حافظها شىء وكان آخر العهد به حين فصلته الدولة المصرية عقب وقوع الحرب العظمى وسفرته مع أسرته إلى القسطنطينية، وبلغنا أنه جعل هناك شيخاً للإسلام

(١) ولد سنة ١٢٦٠ وتولى الملك بعد أخيه السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٧ وتوفى سنة ١٣٣٦

ثم لم نسمع عنه شيئاً ، ولا سيما بعد الانقلاب الكمالى الذى انتهكت فيه حرمة الدين وعلمائه .

شعرة المشهد الحسينى بدمشق : الملاصق للجدار الشرقى لصحن المسجد الأموى وقد سألناعنها الصديق العلامة الأستاذ كاملا القصاب الدمشقى نزيل حيفا الآن ، فأجابنا بما أفاده عنها أخوه الفاضل السيد سعيد الحمزاوى وهو ما أخبره به عن ابن عمه السيد حسين الحمزاوى عن أبيه السيد عبد الكريم الحمزاوى أن هذا المشهد كان متهدماً تكتنفه أطلال بالية فزاره والى دمشق الوزير فؤاد باشا سنة ١٢٧٨ وسعى لدى السلطان عبد العزيز فى تعميره وجعل الدار المجاورة له تكية باسم المقام يطعم فيها الطعام كل يوم بعد العصر ، وطلب من علماء دمشق انتخاب مشرف للمقام ومشرف للتكية من أهل الصلاح والعلم ، فاختاروا السيد سليما الحمزاوى — والد السيد عبد الكريم المذكور والأخ الأكبر للسيد محمود الحمزاوى مفتى الشام — مشرفاً على المقام لصلة نسبه بصاحبه الإمام الحسين عليه السلام وانتخبوا الشيخ محمداً العانى مشرفاً على التكية ، إلا أن التقليد السلطانى جاء باسم السيد خلوصى القادرى من أهل القسطنطينية بدلا من العانى، ثم إن السلطان عبد العزيز أرسل بشعرة من الآثار النبوية لتحفظ بهذا المقام فحفظت فيه وما زالت إلى اليوم يحتفل بإخراجها فى العام مرة واحدة فى ليلة ٢٧ رمضان ويزورها الناس بعد صلاة التراويح فيقرأ القراء ثم يشرعون فى الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم ويخرجها المشرف فيتبرك الحاضرون بتقبيلها وهى بيده وذكر الصلاة مستمر إلى أن تنتهى الزيارة فتعاد إلى لفائفها

وصندوقه وترفع إلى مكانها وفى هذا المقام لوح معلق بالجدار مكتوب فيه هذه الأبيات :

على قبة الأفلاك تشمخ قبة   من اركانها نور النبوة بادى
حوت رأس مولانا الحسين ونجله   بها عبد البارى انيل مراد
بنوهو هى حتى أتى الوقت أرخوا   وجددها فضل الوزير فؤاد
١٢٧٨

شعرة مقام التوحيد بدمشق: وهو المقام المنسوب للسيد سعد الدين جباوى رضى الله عنه سأل عنها السيد سعيد الحمزاوى الشيخ بدر الدين السعدى شيخ هذا المقام فأخبره أن والده الشيخ إبراهيم سعد الدين تشرف بهذه الشعرة بالنقل عن والده الشيخ محمد سعد الدين، وهو تلقاها وتشرف بها عن والده الشيخ محمد الأمين الشهير ببنى سعد الدين، وهكذا بالتسلسل عن أجدادهم . وأوقات زيارتها يوم المولد النبوى وليلة المعراج وليلة ٢٧ رمضان وهو ما كان عليه عمل الأجداد والأسلاف . وفى هذه الشعرة يقول الأستاذ الأكبر العلامة السيد محمود الحمزاوى مفتى الشام المتوفى سنة ١٣٠٥ :

شرف المحل بقدر من قد حله   أمر بديهى الثبوت بلا خفا
ولذلك المحراب فخر شامخ   إذ حل فيه شريف شعر المصطفى

وقد نقشا على العتبة العليا من مقام هذه الشعرة سنة ١٢٩٢ ، وكان رحمه الله يتولى إخراجها فى المواسم فيزورها الحاضرون وهي بيده ثم يعيدها إلى لفائفها ويرفعها إلى مكانها .

شعرة بيت المقدس : لها خازن خاص غير الخطيب والإمام ، والراجح أنها جلبت إليه قديماً ، وخازنها اليوم من أسرة الشهابى ، وميعاد زيارتها فى ٢٧ رمضان .

شعرتان بعكا وحيفا : من البلاد الفلسطينية ، وكانتا بالقسطنطينية من شعرات الأمانات المباركة ، فأهداهما السلطان محمد رشاد لهذين البلدين ، فحفظت إحداهما بمسجد أحمد باشا الجزار بعكا ، والثانية بالجامع الكبير بحيفا ، وميعاد زيارتهما فى ٢٧ رمضان .

ثلاث شعرات بصفد وطبرية والناصرة : من البلاد الفلسطينية ، وكانت مفرقة ببعض مساجد القسطنطينية ، ونقلت إلى هذه البلاد بأمر السلطان محمد رشاد ، فحفظت واحدة بمسجد غار يعقوب بصفد ، والثانية بالمسجد العمرى بطبرية ، والثالثة بالمسجد المنسوب لعلى باشا بالناصرة ، وعلى باشا هذا هو والد عبد الله باشا والى صيدا الذى أسره إبراهيم باشا ابن العزيز محمد على فى إغارته عَلَى البلاد الشامية . ثم سرقت شعرة الناصرة من المسجد إبان الحرب العظمى التى بدأت فى أواخر سنة ١٣٣٢ هـ . والسبب فى نقل هذه الشعرات الثلاث من المساجد أن السلطان رشاداً لما أهدى الشعرتين لعكا وحيفا طلب أهالى هذه البلاد الثلاثة إهداءهم أيضاً من هذه الشعرات للتشرف والتبرك بها ، فأمر بإهدائها لهم من التى بالمساجد لأنه خشى من موالاة الإهداء من شعرات الأمانات أن تقلّ ثم لا يبقى منها شىء . وجميع الشعرات المهداة من هذا السلطان جعلت فى أنابيب من الزّجاج ترى منها بالعين فى غاية الوضوح ، وكل أنبوب ملفوف بأربعين قطعة

من الحرير مختلفة الألوان وموضوع فى صندوق صغير يحفظ طول السنة فى خزانة من الحديد ، وميعاد زيارتها كل عام فى ٢٧ رمضان بعد صلاة العصر .

شعرتان بطرابلس الغرب : أفادنا عنهما حضرة الفاضل الشيخ الطاهر أحمد الطرابلسى الزاوى نسبة إلى الزّاوية الغربية وهي حوزة بطرابلس الغرب تجمع عدة قرى — (إحداهما) بمدينة طرابلس بجامع طورغود باشا فى مقصورة غاية فى الحسن بالجهة الشرقية من الجامع عن يسار الداخل ، وهى فى قارورة من زجاج مستديرة ملفوفة بقطع من الحرير ومحفوظة فى صندوق من الآبنوس ، ويحتفل بزيارتها فى ليلة النصف من شعبان وليلة المعراج ، فيتهافت الناس عَلَى تقبيلها للتبرك . والمتولى الإشراف عليها نقيب الأشراف ، وهو الذى يحملها بيده ويناولها للزائرين ، وله مرتب من الأوقاف عَلَى ذلك ، ويقال إنها كانت بالقسطنطينية ، فنقلها أحمد راسم باشا إلى طرابلس . (والثانيـة) ببنى غازى فى جامع راشد باشا المشهور بجامع عثمان ، وقد نقلت إليه من الجامع الـكبير ، وجعلت فى مقصورة بأعلى الجامع من الداخل فى الجانب الشرقى . وهى أيضاً فى زجاجة ملفوفة بلفائف من الحرير ، ومحفوظة فى صندوق من الآبنوس ، ويحتفل بزيارتها فى المواسم المتقدّم ذكرها ، ويتولى الإشراف عليها المفتى .

شعرة فى بهو بال بالهند : أهداها السلطان محمد رشاد للملكة بهو بال

سلطان جهان بيكم(١) بنت ملكتها شاه جهان بيكم، لما زارته فى رحلتها إلى أوربة والقسطنطينية. أخبرنا الأديب الفاضل السّيد أبو النصر أحمد البهوبالى نزيل القاهرة، أنها لما عادت إلى بهوبال، احتفلت بنقل هذه الشعرة إلى الجامع الأعظم لتحفظ به، فوضعت بلفائفها فى صندوق ثمين حمله ولدها ملك بهوبال الآن عَلَى رأسه، فتكأكأ الناس عليه للتبرك بلمس الصندوق ولم يخلص إلى المسجد إلا بعسر، ثم إنهم احتفلوا بزيارة هذه الشعرة بالمسجد مرة واحدة، ثم أبطلت الزيارة لاعتراض بعض العلماء وبقيت فى صندوقها محفوظة بالمسجد إلى اليوم.

هذا ما تيسر لنا الوقوف عليه من خبر الشعرات المنسوبة إلى سيد الوجود صلى الله عليه وسلم، والله سبحانه أعلم بالصحيحة منها وغير الصحيحة.

---

(١) سلطان جهان اسمها ومعناه سلطانة العالم وكذلك اسم أمها شاه جهان معناها سلطانة العالم أو ملكة العالم. وأما بيكم فلقب تكريم يذكر بعد الاسم ومعناه الأميرة لأنه مؤنث بيك بمعنى أمير، وهو الذى تقول فيه عامة مصر (بيه) بالهاء بدل الكاف وبالإمالة، ومثل بيكم خانم فإنه مؤنث خان بمعنى الحاكم أو الأمير أو السيد العظيم ومازال مستعملا بمصر لقب تكريم لنساء الأسر الرفيعة يلحق بأسمائهن. غير أنهم قلبوا خاءها فى النطق فقالوا فيه هانم، وهذه الميم علامة للتأنيث فى التركية تلحق ببعض الكلمات.

العلم النبوى

كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم عدة ألوية ورايات ، منها ما كان خاصا ، ومنها ما كان يعقده لأمراء جيوشه وسراياه . وقد تتبعنا ماورد عنها فى التاريخ فلم نعثر عَلَى ذكر شىء منها بقى بعد زمن النبوة إلا ما يذكرونه عن الرّاية المسماة بالعقاب ، وهذا ما وقفنا عليه عنها :

جاء فى مادة (عقب) من لسان العرب : « والعُقاب عَلَمٌ ضخم ، وفى الحديث أنه كَان اسم رايته عليه السلام العقاب ، وهى العَلمُ الضخم ، والعرب تسمى الناقة السوداء عقاباً على التشبيه ، والعقاب الذى يعقد للولاة شبه بالعقاب الطائر ، وهى مؤنثة أيضاً » . اه . وقال ابن سيد الناس فى سيرته المسماة بعُيون الأثر فى باب ما كَان لرسول الله صلى الله عليه وسلم من السلاح والدروع والرايات ما نصه : « وراية سوداء مربعة يقال لها العقاب ، وراية بيضاء يقال لها الزينة وربما جعل فيها الأسود . وروى أبو داود فى سننه من حديث سماك بن حرب عن رجل من قومه عن آخر منهم ، قال : رأيت راية رسول الله صلى الله عليه وسلم صفراء[1] . وروى أبو الشّيخ بن حيان من حديث ابن عباس قال : كَان مكتوب عَلَى راياته : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وقال الحافظ الدمياطى قال يوسف

---

(١) فى حاشية البرهان الحلبي على هذه السيرة مانصه : « انفرد به أبو داود وأخرجه فى الجهاد » .

ابن الجوزى[١] روى أنّ لواءه[٢] أبيض مكتوب فيه : لا إله إلا الله محمد رسول الله » . اهـ .

وفى الكامل لابن الأثير ومعجم البلدان لياقوت أن خالد بن الوليد رضى الله عنه لما سار من العراق لفتح الشام ووصل إلى الثنية المشرفة عَلَى غوطة دمشق كان ناشراً رايته ، وهى راية كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم تسمى العقاب ، فوقف عليها ساعة فسميت ثنية العقاب ، وقيل سميت بعقاب من الطير سقطت عليها والأول أصح . انتهى ملخصاً منهما . وجاء عنها فى آثار الأول فى ترتيب الدول أنها كانت سوداء وأنها ركزت على جبل دمشق عَلَى الثنية فسميت بها وهى ثنية العقاب . وفى تاريخ اليعقوبى ما نصه : « وروى بعضهم أن خالد بن الوليد سار إلى غوطة دمشق ثم فرعها إلى ثنية ومعه راية بيضاء[٣] تدعى العقاب فبها سميت ثنية العقاب » .

قلنا : ومن عند خالد بن الوليد انقطع خبر هذه الراية فى التاريخ ، فلم نقف عَلَى انتقالها أو انتقال غيرها من الرايات النبوية إلى أحد من الخلفاء أو الملوك سوى ما يدعيه الترك فى اللواء المحفوظ مع الآثار القسطنطينية وما رواه الجبرتى عن لواء آخر سمته العامة بمصر بالبيرق النبوى .

---

(١) فى حاشية البرهان الحلبى أن المراد الواعظ المؤرخ أبو المظفر يوسف المعروف بسبط ابن الجوزى صاحب مرآة الزمان المتوفى سنة ٦٥٤ .

(٢) ذكر البرهان الحلبى عن أبى ذر الفرق بين اللواء والراية بأن اللواء ما كان مستطيلا والراية ما كان مربعاً .

(٣) شذ اليعقوبى فى جعلها بيضاء ، فإن من ذكر لون العقاب من المؤرخين ذكر أنها كانت سوداء .

لواء القسطنطينية

تقـدم فى الآثار التى بالقسطنطينية ذكر لواء زعموا أنه من الألوية النبوية ، وقد بينا هناك أن فى هذه الآثار مايحتمل أن يكون صحيحاً وإنما توقفنا فيها لأنا لم نر لها ذكراً فى رواية لأحد الثقات يمهد للنفس سبيـل الاطمئنان إليها . ولم يفصح مؤرخو الترك عن لون هذا اللواء ولا ذكروا شيئاً من صفته ولا ما كتب عليه ،وإنما يروون من خبره أن بنى عثمان كانوا يحرصون عليه حرصهم على بقية الأمانات المبـاركة ، وأنهم اضطروا إلى إخراجه ونشره فى بعض الفتن ليتألفوا به الأمة كما حدث فى قيام اليكيجرية على السلطان أحمد بن محمد المعروف بأحمد الثالث المتولى سنة ١١١٥ فإنه اضطر إلى إخراجه وركزه بباب القصر وبث المنادين فى الأهالى بالاجتماع عنده ولـكنه لم يوفق فى قمع الفتنة وانتهى الأمر بخلعه . وحدث فى قيام اليكيجرية عَلَى السلطان سليمان بن إبراهيم المتولى سنة ١٠٩٩ بسبب نفقة البيعة أن أحد التجار ممن نهبت أمتعتهم أراد أن يحتال فى تأليب العامة عليهم فعمد إلى رمح عقد عليه شقة من البز الأبيض موهما أنه اللواء النبوى أخرج من القصر، وتسامعت العامة به فتجمعت والتفت حوله . ولما أراد السلطان محمود بن عبد الحميد الملقب بالثانى إبادة اليكيجرية وتخليص الدولة من أذاهم اضطر إلى إخراج اللواء من الأمانات ليقوى به نفوس شيعته ويكثر سوادهم بمن يلتف من العامة حوله ، قال المولى محمد أسعد قاضى القسطنطينية فى كتابه (أس ظفر[1]) الذى ألفه بالتركية فى هذه الحادثة

(١) اسم هذا الكتاب تاريخ بالجمل للحادثة أى سنة ١٢٤١ وقد طبع بالقسطنطينية سنة ١٢٤٣

إن السلطان لما أراد الزحف عليهم أخرج اللواء النبوى من حجرة الخرقة الشريفة وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام . وقد فصل غيره من مؤرخى الترك هذا الخبر بأنهم لما أعلنوا بالعصيان أسرع الصدر الأعظم وعلماء الدولة وكبراؤها إلى قصر بشكطاش مقر السلطان وأعلموه بالخطب وانتقلوا معه إلى قصر طوبقبو الذى به الأمانات وتضرعوا إليه بإخراج اللواء الشريف فاستعظم الأمر وتمنع خشية من عطب يصيبه ثم مازالوا به حتى رضى وذهب إلى حجرة الأمانات فأخرجه وحمله إليهم وهو يبكى وسلمه للصدر الأعظم وشيخ الإسلام فذهبا به إلى أت ميدان[1] ومعهما المدفعية من جنود النظام الجديد لقتال أولئك البغاة ولما وصلوا إلى الميدان تقدم قاضى استنبول وصاح قائلا : من اختار اليكيجرية فليذهب إلى مراجلهم[2] ومن اختار الإسلام فليضو إلى السنجق الشريف[3] فأسرع أغلب الناس للانضمام إلى اللواء . ثم أطلقت المدافع عَلَى اليكيجرية وثكنتهم

---

(١) أت ميدان بتقديم المضاف إليه على المضاف كالقاعدة فى التركية معناه ميدان اللحم لأنهم كانوا يوزعون فيه اللحم على اليكيجرية وكانت ثكنتهم مطلة عليه وقد أورده بهذا المعنى شمس الدين سامى فى معجمه التركى ولكنه أورده فى قاموس الأعلام بلفظ (آت ميدان) بمد أوله على أن معناه ميدان الخيل لأنهم كانوا يروضون فيه المهارى ويدربونها .

(٢) كان من عادة اليكيجرية عند العصيان أن يقلبوا فى الميادين مراجلهم التى يطبخون فيها طعامهم كأنهم يشيرون بذلك إلى رفضهم أكل طعام الدولة وخدمتها .

(٣) السنجق أو السنجاق فى التركية اللواء وكان يطلق فى مصر على الكبير الحائز لرتبة أمير اللواء من أمراء الجراكسة الذين كانوا يحكمونها مدة العثمانيين ، والظاهر أن أصله أمير سنجق ثم خفف بحذف جزئه الأول ، كما يقال الآن للباشا من الجند لواء وأصله أمير لواء .

فهدمت عليهم وكتب إلى الولايات بإبادتهم فأبيدوا عن آخرهم . وقد وهم البستانى فى دائرة المعارف ومحمد فريد بك فى تاريخ الدولة العلية العثمانية فى زعمهما أن السلطان سار بنفسه مع جند المدفعية إلى أت ميدان وهو قول لم يقله أحد من مؤرخى الترك ولاسيما المشاهدين منهم للحادثة ، والصواب أنه بقى بالقصر وأرسل الصدر الأعظم وشيخ الإسلام واللواء والجنود كما ذكرنا .

اللواء الذى سموه بمصر البيرق النبوى[1]

وهو عَلم كبير من الأعلام التى كانت بالقلعة أخرجه السيد عمر مكرم نقيب الأشراف للعامة عند قيامهم لدفع الفرنسيس عن القاهرة فسموه بالبيرق النبوى ، والظاهر أن بعض قادتهم اختلق لهم ذلك ليزيد فى تحمسهم فاعتقدوه . وملخص خبر هذه الواقعة أن الفرنسيس لما قصدوا الاستيلاء عَلَى مصر سنة ١٢١٣ كان عليها وال عثمانى ليس له من الأمر شىء عَلَى عادة ولاتهم بها ، وكان يحكمها كبيران من الجراكسة مشاركة وهما إبراهيم بك الكبير ومراد بك والتصرف فى أغلب الأمور لمراد بك ،وكان أخرق رهقا من شر أمرائهم وأضراهم بظلم الرعية وأجبنهم عند اللقاء . فمن مساويه فى ذلك أنه خرج قبل مجىء الفرنسيس للتنزه فى الريف أى الوجه البحرى فعاث فيه وأفحش فى القتل والنهب وإحراق القرى وتشتيت سكانها ، ثم عاد إلى القاهرة ظافراً مملوء الوفاض بالغنائم بعد أن غادر أكثر قراه يبابا

(١) البيرق لفظ تركى وأصله فى هذه اللغة بيراق أو بإيراق ومعناه اللواء والراية .

فلم يلبث أن بلغه نبأ احتلال الفرنسيس للإسكندرية فى المحرم من تلك السنة وشروعهم فى الزحف عَلَى القاهرة ، فخرج إليهم بجنوده من الجراكسة وغيرهم والتقى بهم جهة الرحمانية بالبحيرة فلم تكن غير مناوشات هينة نكص فيها على عقبيه إلى جهة امبابه بالشاطىء الغربى للنيل تجاه القاهرة وأخذ يتحصن بها فلحقه الفرنسيس فلم يقو عَلَى لقائهم وانهزم هو وجنده فى أقل من ساعة وفر إلى الصعيد وفر الوالى العثمانى وإبراهيم بك إلى جهة الشام وتشتت بقية الأمراء وتركوا الشياه للذئاب . وكان أهالى القاهرة قاموا قياما محموداً أبانوا فيه عن نخوة وحمية وسخاء بالنفوس والأموال وساروا إلى بولاق بالشاطىء الشرقى لمساعدة الجنود فلما وقعت الهزيمة حوّل الفرنسيس الرمى إلى هذا الشاطىء فشتتوهم ودخلوا القاهرة يوم الثلاثاء العاشر من صفر .

وهذا نص ماذكره الجبرتى عن قيام الأهالى ومسيرهم بهذا العلم إلى بولاق قبل ذلك بأسبوع أى فى يوم الثلاثاء ٣ صفر سنة ١٢١٣ : « وفى يوم الثلاثاء نادوا بالنفير العام وخروج الناس للمتاريس وكرروا المناداة بذلك كل يوم فأغلق الناس الدكاكين والأسواق وخرج الجميع لبر بولاق فكانت كل طائفة من طوائف أهل الصناعات يجمعون الدراهم من بعضهم وينصبون لهم خياما أو يجلسون فى مكان خرب أو مسجد ويرتبون لهم قيما يصرف عليهم مايحتاجون له من الدراهم التى جمعوها من بعضهم ، وبعض الناس يتطوع بالإنفاق على البعض الآخر ومنهم من يجهز جماعة من المغاربة أو الشوام بالسلاح والأكل وغير ذلك بحيث إن جميع الناس

بذلوا وسعهم وفعلوا ما فى قوتهم وطاقتهم وسمحت نفوسهم بإنفاق أموالهم فلم يشح فى ذلك الوقت أحد بشىء يملكه ، ولكن لم يسعفهم الدهر وخرجت الفقراء وأرباب الأشائر بالطبول والزمور والأعلام والكاسات وهم يضجون ويصيحون ويذكرون بأذكار مختلفة ، وصعد السيد عمر افندى نقيب الأشراف إلى القلعة فأنزل منها بيرقا كبيراً سمته العامة البيرق النبوى فنشره بين يديه من القلعة إلى بولاق وأمامه وحوله أُلوف من العامة بالنبابيت والعصى يهللون ويكبرون ويكثرون من الصياح ومعهم الطبول والزمور وغير ذلك » . اهـ .

قلنا : وما زال فى عوام المصريين من يعتقد بأن العَلم العثمانى ذا الهلال والنجم متخذ على مثال العَلم النبوى ، ولهذا تضاعف تألمهم لما غير فى مصر بالعَلم ذى الأهلة والأنجُم الثلاثة بعد إعلان انفصالها من الدولة العثمانية إبان الحرب الكبرى الواقعة أوَاخر سنة ١٣٣٢ هـ ، ولعلّ منشأ هذا الاعتقاد ظنهم أن شارات دولة الخلافة تقتبس عادة من شارات نبويه . على أنهم فى ذلك ليسوا بأوغل فى الوهم من كثير من خاصة المسلمين وعامتهم فى عدهم الهلال رمزاً دينياً له عند المسلمين ما للصليب عند النصارى ، وما كان قط كذلك ، وإنما حبب إلى مسلمى العُصور الأخيرة وعظم لديهم لكونه شارة للعلم فى آخر دولة أدركوها من دول الخلافة .

الركاب النبوي

لم نقف إلا على خبر ركابين قيل إنهما نبويان ، أحدهما كان عند علاء الدّين الخلاطى ، والثانى كان عند الملك الناصر صلاح الدّين الأيوبى من ذرّية صلاح الدّين الكبير . أما الأول فمذكور فى ترجمة الخلاطى بالدرر الكامنة للحافظ بن حجر العسقلانى ، ونصها : « على بن محمد بن الحسن الخلاطى الحنفى علاء الدين الملقب بالقادوسى[1] لطول تكوير عمامته ، ويعرف أيضاً بزلقان ، وكان يقال له الركابى لأنه كان يزعم أن عنده ركاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان يزعم أيضاً أن عنده من شعره ، وتفقه واشتغل وتقدم ودرس بالظاهرية وولى إمامتها ، وهو أول مَن أَمَّ بها ودرس بالديلمية ، وكتب على الهداية شرحاً ، وناب فى الحكم عن معز الدين نعمان بالحسينية ، ومات فى النصف من جمادى الأولى سنة ٧٠٨ » .

وأما الثانى فرأيته مذكوراً فى جزء عندى قديم الخط من تاريخ لبغداد لم أعرف اسمه ولا اسم مؤلفه ، جاء فيه فى حوادث سنة ٦٥٤ ما نصّه : « وفيها أرسل صلاح الدين ابن أيوب صاحب دمشق وحلب إلى الخليفة المستعصم رسولا معه فردة ركاب كبيرة من حديد قد ذكر أنها ركاب

(١) لقب بذلك لأن عمامته كانت تشبه القادوس ، وهو إناء من الفخار مستطيل أصغر من الجرة معروف بمصر يخرج به الماء فى الدواليب لسقى الأراضى .

النبي صلى الله عليه وسلم ، وأَنها عند بنى أَيوب يحفظونها كما يحفظ
بنو العباس البردة الشريفة ، فقبلها الخليفة وجعلها فى خزانته مع البردة
والقضيب[1] ، فأنشد أَبو المعالى القاسم بن أَبى الحديد ارتجالا :

لو كنت فى زمن النبي محمد   من آله أَو كنت من أَصحابه
ما رام قلبي غير لثم ركابه   شرفاً وقد بلغت لثم ركابه »

انتهى . وصلاح الدّين المذكور هو الملك الناصر صلاح الدين يوسف
ابن الملك العزيز محمد بن الملك الظاهر غازى ابن السّلطان الملك الناصر
صلاح الدّين يوسف بن أَيوب الكبير . كان ملكا لحلب ، ثم استولى
على دمشق وأَضافها إلى مملكته سنة ٦٤٨ ، وَجعلها مقرّ ملكه ،
وكان سمحاً جواداً حسن الأخلاق ، غير أَنه لما بلغته كائنة هلاكو
ببغداد وقتله للخليفة هرب من دمشق ، وكان اجتمع له فيها عساكر
كثيرة تناهز المائة أَلف فترك الجميع وهرب ، ثم أَحسن الظن بالمغول
واتصل بهم فاستصحبوه معهم ثم غدروا به وقتلوه شر قتلة سنة ٦٥٨ انتهى
ملخصا من تحفة الأحباب فيمن حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب
للصفدى ، ومن عيون التواريخ لابن شاكر .

---

(١) هذا من الأدلة المثبتة لبقاء القضيب والبردة عند العباسيين إلى زمن آخر خليفة منهم ببغداد .

النعال النبوية

النعل التي كانت عند السيدة عائشة : ذكرها العلامة الأديب أحمد بن محمد المقرى ، مؤلف نفح الطيب فى كتابه فتح المتعال فى مدح النعال ، الذى ألفه فى مثال النعل النبوية وما قيل فيها ، وقد أورد لها عدة أمثلة أقواها فى الصحة مثالان : ذكر أن الأول منهما حذى عَلَى نعل نبوية كانت عند أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، وأن هذا المثال[1] هو معتمد عدّة من الأئمة الثقات : كأبى بكر بن العربى ، وابن عساكر ، وابن مرزوق ، والفارقى ، والبلقينى ، والسخاوى ، والسيوطى ، وابن فهد ، وغيرهم . وأتى عَلَى ما يثبت ذلك من الروايات بأسانيدها . ثم صارت هذه النعل الشريفة لإسماعيل بن إبراهيم بن عبد الرّحمن بن أبى ربيعة المخزومى . وسبب ذلك على مارواه عن الثقات أنها كانت عند عائشة رضي الله عنها ، ثم صارت من قبلها إلى أختها أم كلثوم بنت أبى بكر الصديق رضى الله عنهما ، وكانت أم كلثوم تحت طلحة بن عبيد الله ، فلما قتل يوم الجمل خلفه عليها عبد الله[2] بن عبد الرّحمن بن أبى ربيعة المخزومى ، وهو جدّ إسماعيل المذكور الذى كانت عنده النعل . ثم ذكر نعلا أخرى كانت بالمدينة ،

---

(١) كان بعضهم يحذو على النعل الشريفة نعلا يحفظها ليحذو عليها غيره ، وبعضهم يجعل المثال مخطوطاً على الورق .

(٢) ذكر المقرى أنه رأى فى بعض الروايات أن الذى خلف طلحة على أم كلثوم هو عبد الرحمن ، والذى تبين له أنه ابنه عبد الله لأدلة ذكرها .

عند فاطمة بنت عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، ولم يفصح عما صار إليه أمر هاتين النعلين بعد ذلك .

نعل كانت بالأشرفية بدمشق : ذكروا أنها كانت عند بنى أبى الحديد يتوارثونها ، ثم صارت للملك الأشرف موسى بن العادل الأيوبى ، فجعلها فى دار الحديث الأشرفية التى أنشأها بدمشق[١] . وقد أشار إليها ابن كثير فى البداية والنهاية ص ٦ فى كلامه عَلَى النعل النبوية بقوله : « واشتهر فى حدود ستمائة وما بعدها عند رجل من التجار يقال له ابن أبى الحديد نعل مفردة ، ذكر أنها نعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فسامها الملك الأشرف موسى ابن الملك العادل أبى بكر بن أيوب المذكور ، فأخذها إليه وعظمها ، ثم لما بنى دار الحديث الأشرفية إلى جانب القلعة ، جعلها فى خزانة منها ، وجعل لها خادماً ، وقرّر له من المعلوم كل شهر أربعين درهما ، وهى موجودة إلى الآن فى الدار الأشرفية » .

(١) فى كتاب منادمة الأطلال ومسامرة الخيال فى مدارس دمشق ومساجدها لعصرينا العلامة عبد القادر بن أحمد بن مصطفى الشهير بابن بدران المتوفى بدمشق فى ربيع الثانى سنة ١٣٤٦ أن المدرسة الأشرفية المذكورة باقية إلى اليوم فى أوائل سوق العصرونية من الجانب الغربى ، وقد وصف حالتها التى هى عليها الآن وما جدد بها وذكر أنه كان يسكن بها فى غرفة علوية أثناء طلبه للعلم وألف بها بعض كتبه . وفى وفيات الأعيان لابن خلكان أن الملك الأشرف المذكور ولد سنة ٥٧٨ وأول شىء ملكه أمرها سيره إليها والده ثم ملك حران وغيرها . ولما توفى أخوه المعظم وقام بعده ولده الناصر داوود ملك الأشرف منه دمشق وجعلها مقر ملكه وبنى بها دار الحديث وتوفى بها سنة ٦٣٥ وكان ملكا حليما كريم الأخلاق محباً لأهل الخير والصلاح ميمونا مؤيداً فى الحروب .

ونقل سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان (ج ٨ ص ٤٧١) خبر مصير هذه النعل إلى الأشرفية عن الملك الأشرف نفسه فقال فى ترجمته الواردة فى وفيات سنة ٦٣٥ ما نصه : « وكنت عنده بخلاط ، فقدم علينا النظام ابن أبى الحديد ومعه نعل النبى صلى الله عليه وسلم ، فعرّفته بقدومه فقال يحضر ، فلما دخل عليه ومعه النعل قام قائماً ونزل من الإيوان وأخذ النعل فقبّلها ووضعها عَلَى عينيه وبكى ، وخلع على النظام وأعطاه نفقة وأجرى عليه جراية ، وقال : تكون فى الصحبة نتبرك بك . وانفصلت عن خلاط ، وأقام عنده ، فبلغنى أنه قال : هذا النظام يطوف البلاد وما يقيم عندنا ، وأنا أوثر أن يكون عندى قطعة منها ، ثم بات يفكر ورجع عن ذلك الخاطر ، ولما أخذ دمشق حكى لى قال : عزمت عَلَى أخذ قطعة منها ، فقلت : ربما يجيء بعدى من يفعل مثل فعلى فيتسلسل الحال ويؤدى إلى استئصالها بالمرة ، فتركتها وقلت من ترك شيئاً لله عوّضه الله أمثاله ، ثم أقام عندى النظام شهوراً ، واتفق أنه مات وأوصى لى بالنعل فأخذت النعل بأسرها . ولما فتح دمشق اشترى دار قيماز النجمى وجعلها دار حديث وترك النعل فيها ، ونقل إليها الكتب الثمينة ، وأوقف عليها الأوقاف الكثيرة » اهـ . وذكر المقرى فى فتح المتعال رجلا اسمه أحمد من بنى أبى الحديد الذين كانوا يتوارثون هذه النعل رأى اسمه فى استجازة من الشيخ المحدّث أبى عبد الله البرزالى تاريخها سنة ٦٠٩ منعوتاً بصاحب نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم[١] . ثم نقل عن تاريخ البدرى فى الملك

(١) الراجح أنه الملقب بالنظام نفسه فسيأتى أن اسمه أحمد وأنه ولد سنة ٥٦٠ وتوفى سنة ٦٢٥ .

الأشرف ما صورته : « وقد كان شجاعاً كريماً جواداً محباً للعلم وأهله ، لا سيما أهل الحديث ومنادمة[1] الصالحين ، وقد بنى لهم دار الحديث بالسفح » إلى أن قال : « وجعل فيها نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم الذى ما زال حريصاً عَلَى طلبه من النظام ابن أبي الحديد التاجر » .

وممن ذكره العلماء واجتمعوا به من بنى أبي الحديد أبو الحسين ابن أبي الحديد ، ذكره ابن عساكر فى تاريخ دمشق ، وملخص ما نقله عنه المقرى فى التعريف به أنه أبو الحسين عبد الرحمن بن عبد الله بن القاسم ابن الحسن بن عبد الله بن أبي الحسن أحمد بن أبي الفضل عبد الواحد ابن أبي بكر محمد بن أحمد بن عثمان بن الوليد بن الحكم بن سليمان المعروف بابن أبي الحديد السلمى الخطيب كان شيخاً صالحاً سليم الجانب سديد السيرة من بيت الحديث والخطابة ، وكان جدّه الأعلى أبو الحسن ابن أبي الحديد من مشهورى المحدّثين . قال ابن عساكر سمعت عنه بدمشق أجزاء ودخلت داره المليحة وقرأت عليه ، ورأيت نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم معه ، وكانت ولادته فى جمادى الأولى سنة ٤٦٤ بدمشق ووفاته بها نهار يوم السبت مستهل جمادى الآخرة من سنة ٥٤٦ ودفن فى مقابر باب الصغير . اهـ[2] .

---

(١) فى نسخة : ومقارنة .

(٢) راجعنا هذه الترجمة فى نسخة تاريخ ابن عساكر التى عندنا فلم نجد فيها ذكراً للنعل الشريفة والنسخة كثيرة السقط والتحريف لا يعول على ما فيها . وبها أيضاً اختلاف فى نسب عبد الرحمن المذكور عما ذكره المقرى فإنه بها (عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسن بن أحمد) الخ بإسقاط القاسم وبإسقاط عبد الله الذى بعد الحسن =

ونقل المقرى أيضاً كلاماً مفصلا مفيداً فى هذه النعل عن رحلة الحافظ الرّحال أبى عبد الله محمد ابن رُشَيد[1] الفهرىّ المغربىّ السبتىّ المالكىّ المسماة: (مَلء العَيبة مما جُمع بطول الغَيبة فى الوجهة الوجيهة إلى الحرمين مكة وطيبة) يتلخص فى أنه قصد زيارة هذه النعل بالمدرسة الأشرفية المذكورة للتبرك بها والاستشفاء من مرض أصابه فوجد بركتها، ورأى بالمدرسة بيتين بُنيا فى قبلتها أحدهما عن يمين المحراب به نسخ من المصاحف، والآخر عن يساره فيه النعل الكريمة، وهى فردة واحدة، وقد جعل لهذا البيت باب مصفح بالنحاس الأصفر كأنه صفائح ذهب، وعُلق عليه كِلَل حرير ثلاث خضراء وحمراء وصفراء، ووضعت النعل الكريمة عَلَى كرسى من آبنوس، ثم وضع على النعل لوح من آبنوس، ونقر فى وسط اللوح بمقدار ما ظهرت النعل منخفضة عن اللوح بمقدار النقر، ولا شك أنه بقى منها تحت أطراف اللوح مقدار ما ثبت به تحت اللوح وما أخذته المسامير التى طوقت به فإن الدائر المحيط بها كله مكوكب بمسامير فضة ومُلئ ذلك الظاهر منها الذى هو منقور عليه بأنواع الطيب

= وهو الموافق لما فى نسخة مخطوطة عندنا فى الإصابة للحافظ ابن حجر فى ترجمة جده الأعلى سليمان المعروف بأبى الحديد ولكن جاء فى نسخة أخرى مخطوطة عندنا أيضا فى الإصابة والنسخة المطبوعة بمطبعة السعادة بالقاهرة (عبيد الله) بدل عبد الله وليحقق هذا النسب.

(١) هو محمد بن عمر بن محمد المعروف بابن رشيد مصغر رشد كما فى شرح العلامة الزرقانى على المواهب اللدنية للقسطلانى وله ترجمة فى الدرر الكامنة وبغية الوعاة وشذرات الذهب وكانت ولادته سنة ٦٥٧ ووفاته بفاس سنة ٧٢١. والذى فى شرح الزرقانى على المواهب ٧٣١ ورحلته المذكورة فى ست مجلدات.

حتى إن الذى يلثمها يتمرغ فمه فى طيبها ، وقد وكل بها قيم له عليها مرتب بلغنا أنه أربعون درهماً ناصرية ، وأمر بفتحها يوم الاثنين ويوم الخميس للناس للتبرك بلثمها . اهـ .

ثم ذكر المقرى أيضاً أن هذه النعل الشريفة كانت عند أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية رضى الله عنها مما تركه النبى صلى الله عليه وسلم فتوارثها ورثتها من بعدها إلى أن وصلت إلى بنى أبى الحديد[1] وما زالوا يتوارثونها إلى آخرهم موتاً ، وأنه ترك ثلاثين ألف درهم وترك تلك النعل وولدين له فتراضيا عَلَى أن يأخذ أحدهما المال ويأخذ الآخر النعل الشريفة فصار يذهب بها إلى أرض العجم ويفد عَلَى الملوك فيتبركون بها حتى رجع إلى خلاط فطلب منه الملك الأشرف بن العادل أن يقطع له منها قطعة يتبرك بها ثم رجع عن ذلك إلى أن آلت إليه وجعلها فى دار الحديث التى ابتناها بدمشق ومما أنشده للحافظ ابن رشيد الفهرى فى هذه النعل لما زارها بالأشرفية :

هنيئاً لعينى أن رأت نعل أحمد فيا سعد جدّى قد ظفرت بمقصد

وقبّلتها أشفِى الغليــل فزادنى فيا عجبــاً زاد الظما عند مورد

فلله ذاك اللثم فهو ألذّ من لمــا شَـفَةٍ لَمْيَا وخدّ مورّد

(١) أول من وصلت إليه منهم جدهم الأعلى سليمان السلمى المعروف بأبى الحديد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد جاء فى ترجمته فى الإصابة للحافظ بن حجر أن بنيه ورثوها عنه إلى أن وصلت إلى آخرهم أحمد بن عثمان المتوفى سنة ٦٢٥ ثم صارت للملك الأشرف فجعلها فى الأشرفية بدمشق . قال وقد ذكرها الذهبى وغيره ويعبرون عنها بالأثر الشريف .

ولله ذاك اليوم عيداً ومعلماً بتاريخه أرّخت مولد أسعد
عليه صلاة نشرها طيّب كما يحب ويرضى ربنا بمحمد

وأنشد للإمام أبى عبد الله محمد بن جابر الوادى آشى قوله لما رآها بالأشرفية وقبلها :

دار الحديث الأشرفية لى الشفا فبها[1] رأت عيناى نعل المصطفى
ولثمتها حتى قنعت وقلت يا نفسى انعمى أكفاك قالت لى كفى
لله أوقات وصلت بها المنى من بعد طيبة ما أجل وأشرفا
لك يا دمشق عَلَى البلاد فضيلة أيامك الأعياد لازمها الصفا
ولكم بجيرون جررت ولم أخف ذيلا وبرح هواى فيها ما اختفى

وأنشد فيها أيضاً أبياتاً داليّة للإمام أبى بكر بن محرز تركنا ذكرها لتحريف وقع بها لم نهتد لصحته .

ومن الحوادث المتعلقة بهذه النعل الشريفة ما وقع بدمشق من نائب الشام سيف كراى زمن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، وذلك أنه قرر على أهل دمشق ما عجزوا عن أدائه فأغلقوا البلد لأنه أدخل فى هذه المظامة أهل الأسواق وحواضر البلد وأملاكها وحاراتها وأمر بكتابتها ليوظف عليها فضج الناس وشكوا إلى القضاة والخطباء والأئمة فتواعد الجميع على الطلوع إلى النائب المذكور ، فلما كان يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى (أو الأخرى) من عام أحد عشر وسبعمائة أخذ الخطيب جلال الدين القزوينى صاحب تلخيص المفتاح والإيضاح المصحف الكريم العثمانى

---

(١) فى نسخة (فيها) بمثناة تحتية .

ونعل النبي صلى الله عليه وسلم من دار الحديث الأشرفية وأعلام الجامع التي تكون بين يدى الخطباء وخرج من باب الفرج ومعه العلماء والفقهاء والقراء والمؤذّنون والأئمة وعامة الناس ، فلما وصلوا إلى النائب واستغاثوا أمر بضربهم وقال للجلال القزويني حين سلم عليه : لاسلم الله عليك، وضرب النقباء الناس ورموا المصحف العثماني والنعل الشريفة النبوية فعندها رجمهم الناس وأخذوا الجلال القزويني إلى القصر وخلص العوام المصحف والنعل الشريفة والأعلام ودخلوا البلد ، فاتفق بعد عشرة أيام أن عوقب سيف الدين كراى المذكور وقيد وسجن بأمر الناصر محمد بن قلاوون وناله من الإهانة ما ناله جزاء تهاونه بالمصحف الشريف والنعل النبوية وفرّج الله عن أهل دمشق وفرحوا بالانتقام الإلهى منه .

مصير هذه النعل مع نعل أخرى كانت معها بدمشق : قال المقرى : « وقد فحصت عن أمر هذه النعل الشريفة فى زماننا هذا فلم أجد لها عند أحد ممن سألت خبراً ، وأظن أنها ذهبت فى فتنة تيمورلنك حين خرب دمشق وأحرقها سنة ثلاث وثمانى مائة حسبما هو مشهور . . وقد سئل بعضهم عن تاريخ تخريب تيمورلنك لدمشق ، فقال سنة خراب ، يعنى أن لفظ خراب هو التاريخ ، وهذا نحو قوله لما سئل عنه سنة قيامه وثورته ، فقال : سنة عذاب يعنى ثلاث وسبعين وسبعمائة ، وهاتان توريتان عظيمتان فيهما اتفاق غريب، يعرف ذلك كل أريب . ثم بعد كتبي لما ذكرته بمدة وقفت على نور النبراس على سيرة ابن سيد الناس للحافظ برهان الدين الحلبيّ رحمه الله ، فإذا فيه نحو ماظننته مع زيادة ونصّه : (فائدة) الذى بقى من آثاره

صلى الله عليه وآله وسلم الشريفة الآن فيما نعرفه كان بقى نعلان بدمشق ، كل فردة فى مكان ، واحدة بالأشرفية دار الحديث بقرب القلعة ، أنشدونا لشيخ الإسلام شيخنا الإمام المحدّث أمين الدين الأنَقىّ المالكى[1] :

وفى دار الحديث لطيف معنًى ... وفيها منتهى أربى وسولى
أحاديث الرسول علىّ تتلى ... وتقبيل لآثار الرسول

والفردة الثانية فى الدماغية[2] المدرسة المعروفة للشافعية ، ذهبتا فى وقعة تيمورلنك لا يدرى أين ذهبتا ، والله أعلم . اهـ .

قلت : الذى ذكره العلامة عبد الباسط بن موسى العلموىّ فى مختصر تنبيه الطالب وإرشاد الدارس[3] (ص ٧) أن تيمورلنك أخذهما فى تلك الوقعة ونص ما قال فى كلامه على دار الحديث الأشرفية : « وبها نعل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانت عند الإمام نظام الدين أبى العباس أحمد ابن عثمان ابن أبى الحديد السلمىّ مولده بدمشق سنة ٥٦٠ . وكان ورثها أى النعل دون آبائه وكان الأشرف يقربه ويجله لأجلها ويؤمل أن يشتريها

---

(١) هو أمين الدين محمد بن على بن الحسن الشهير بالأنقى بفتح الهمزة والنون وكسر الفاء المتوفى سنة ٧٨٦ (لحظ الألحاظ لابن فهد ص ١٦٧ — ١٦٨ من مجموعة ذيول طبقات الحفاظ وشذرات الذهب ص ٢٩٦ ج ٣)

(٢) مدرسة كانت بدمشق مشتركة بين الشافعية والحنفية أنشأتها السيدة عائشة جدة فارس الدين ابن دماغ سنة ٦٣٨ وهى زوجة شجاع الدين محمود ابن دماغ العادلى وقد زالت هذه المدرسة وأقيم الآن فى موضعها مصنع لعمل النشا ودار للسكنى كما فى منادمة الأطلال لابن بدران .

(٣) اختصر فيه كتاب تنبيه الطالب وإرشاد الدارس لما فى دمشق من الجوامع والربط والمدارس لمحيي الدين عبد القادر العليمى المتوفى سنة ٩٢٧

منه ويضعها فى مكان ليزار فلم يسمح بذلك ، وسمح بأن يقطع له قطعة منها فامتنع الأشرف حذراً من التطرق إلى إعدامها ، ثم أقطعه الأشرف وقدر له معلوماً فاستمر كذلك إلى أن توفى سنة ٦٢٥ فأوصى بها للأشرف فأقرها بدار الحديث الأشرفية ، ويقال إنها كانت الفردة اليسرى ، وأن الفردة اليمنى كانت بالمدرسة الدماغية ، ولم تزالا إلى زمن تيمور ، فلما دخل دمشق أخذها » .

قطعة كانت عند القاضى عبد الباسط : القاضى زين الدين عبد الباسط بن خليل بن إبراهيم (وقيل ابن يعقوب) الدمشقى ثم القاهرى ترجمه السخاوىّ فى الضوء اللامع ج ٢ ص ٦٥١ ترجمة طويلة جاء فيها أنّه ولد سنة ٧٨٤ بدمشق أو سنة ٧٩٠ أو التى قبلها والأوّل أشبه وتوفى بالقاهرة سنة ٨٥٤ ودفن فى تربته التى أنشأها بالصحراء ونال قسطاً وافراً من الوجاهة والسؤدد فى الدولة ، وكان حسن السياسة واسع الكرم اشترى بيت تنكز[1] وأصلحه وأكمله وسكنه وعمر تجاهه مدرسة بديعة انتهت سنة ٨٢٣ ثمّ قبض عليه السلطان الملك الظاهر جقمق وأخذ منه قطعة قيل إنّها من نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم وأهين باللفظ غير

(١) كان من أمراء دولة الناصر محمد بن قلاوون وتولى نيابة دمشق وأنشأ بها جامعا ثم أشيع أنه يريد العبور إلى بلاد التتار فتنكّر له الناصر وقبض عليه وحمل إلى الإسكندرية فقتل بها سنة ٧٤١ ثم نقلت جثته سنة ٧٤٣ إلى دمشق ودفن بجوار جامعه بشفاعة ابنته واستولى الناصر على شىء كثير مما خلّفه من المال والجواهر والثياب المطرّزة وغير ذلك .

مرّة ثمّ أطلق فحجّ وزار وسافر إلى بعض البلاد وعاد إلى القاهرة مستوطناً لها إلى أن توفى بها .

قلنا : دار تنكز المذكورة لم تزل باقية إلى اليوم بشارع الخرنفش ، وكان يسكنها قاضى القضاة إبراهيم ابن جماعة ثمّ ملكها القاضى عبد الباسط المذكور وتنقلت بعده من مالك إلى آخر حتى اشتراها عباس باشا الكبير قبل تولّيه عَلَى مصر فغير معالمها وجدّد بناءها عَلَى ماهى عليه الآن وسمّاها بالإلهامية نسبة لولده إلهامى باشا ثمّ اشتراها خليل باشا يكن من تركة إلهامى باشا ثمّ اشتراها منه عزيز مصر الخديو إسماعيل وأنعم بها على السادة البكرية شيوخ مشايخ الصوفيّة لما أخذ دارهم التى كانت عَلَى بركة الأزبكية عند تنظيم شوارعها ، وما زالت إلى اليوم للبكرية يسكنونها ، والمدرسة التى بناها القاضى تجاهها ذكرها المقريزى فى الجوامع باسم الجامع الباسطى وهو باق أيضاً إلى اليوم ويعرف بجامع القاضى عبد الباسط وبجامع عبّاس باشا لتجديده بعض بنائه وبه قبر الشيخ أحمد بن خليل السبكى المتوفى سنة ١٠٣٢ وكان يتولىّ الإمامة والخطابة به . وأما القطعة من النعل الشريفة فقد فصّل المقريزى خبرها فى تاريخه المسمّى بالسلوك لمعرفة دول الملوك ونقله عنه المقّرى بمعناه فى فتح المتعال فقال :

« ذكر المقريزى المؤرخ المصرى رحمه الله فى تاريخه المسمى بالسلوك ما معناه أن السلطان سيف الدين جقمق لما غضب على القاضى زين الدين عبد الباسط وأمر بجعله فى البرج دخل عليه والى القاهرة وأمره أن يخلع جميع ما عليه

من الثياب فإنه نقل للسلطان أن معه اسم الله الأعظم ، ولذلك كان كلما هَمّ بعقوبته صرفه الله عنه فخلع جميع ما كان عليه من الثياب والعمامة ومضى بها إلى الوالى وبما فى أصابع يديه من الخواتم فوجد فى عمامته قطعة أديم ذكر لما سئل عنها أنها من نعل النبى صلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم . انتهى المقصود منه . ولعلها كانت من التى بالأشرفية بالشام ، وكان لهذا القاضى الجاه العريض والتصرف فى مملكة الإسلام بمصر والشام وما يليهما فلا يبعد أن يحصل له ذلك منها أو من غيرها من النعال النبوية التى كانت يتوارثها من خصه الله بها والله أعلم » اهـ . ما ذكره المقرى .

النعل الشريفة التى بدار الشرفاء الطاهريين بفاس : ذكر عصرينا العلامة محمد بن جعفر بن إدريس الكتانى المتوفى سنة ١٣٤٥ فى كتابه سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس (ج ١ ص ٣٤٣) فى ذكر من اشتهر من صلحاء حومة الجزيرة وما أضيف إليها دار الشرفاء الطاهريين التى بها النعل الشريفة النبوية ، فآثرنا نقل كلامه بنصه وإن طال لما فيه من الفوائد التاريخية ، قال رحمه الله :

« اعلم أن من مزارات هذه الحومة دار الشرفاء الطاهريين الصقليين التى بدرب أبى بكر وهى الأولى عن يمين الداخل إليه من جهة مصمودة لأن بها الآن نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم الشريفة التى كان يلبسها فى رجله الشريفة بعينها وذاتها ، وكانت قبل بدار أخرى كانت لهم بدرب الدرج من حومة درب الشيخ ، ثم نقلوها إلى هذه وهى فى ربيعة فى جوف صندوق فى مكان مرتفع فى غرفة بأعلى الدار المذكورة معظمة محترمة

وعندهم الشهادة بخطوط أئمة كبار أنها نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم .
وفى الإشراف فى ترجمة الشرفاء المذكورين مانصه : وبأيدى أصحاب الترجمة
من الآثار النبوية والمتبركات المصطفوية نعلا الرسول صلى الله عليه وسلم
الكريمتان اللتان كانتا بقدميه الشريفتين شاع خبرهما منذ أعوام ، ولهج
بذلك الخاص والعام قال الوالد قُدّس سره فى نظمه عقود الفاتحة :

ومنهم سادة أبدت صِقِلِية[1] مجلاهُمُ وغدت من بعدُ فى ظُلَمِ
وشـــعبة منهم للثم نعلهم يُرى هلالُ السماء فاتحاً لفم

وفى تأليف للشيخ الإمام الأوحد أبى مالك سيدى عبد الواحد بن محمد
الفاسى فى السلالة الصقلية سماه غاية الأمنية وارتقاء الرتب العلية فى ذكر
الأنساب الصقلية ذات الأنوار البهية السنية ، لما تعرض لذكر بنى طاهر
عقب الشريف الولى الجليل الأحظى الكفيل الأثيل ذى القدر السامى
والفضل الجلى أبى العباس أحمد بن على المتوفى سنة ثلاث وتسعين وألف
مانصه : وسيدى أحمد بن على المذكور هو الذى كان حائزاً بداره التى بدرب
الدرج من عدوة فاس الأندلسى[2] للنعلين الكريمتين اللتين لبسهما جده

---

(١) فى معجم البلدان لياقوت : «صقلّية بثلاث كسرات وتشديد اللام والياء أيضا مشدّدة » انتهى فتخفف الناظم ياءها هنا للوزن .

(٢) أحد قسمى فاس لأن الإمام إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب رضوان الله عليهم المولود سنة ١٧٧ والمتوفى سنة ٢١٣ لمّا أراد إحداث فاس جعلها مدينتين متصلتين إحداهما عدوة الأندلسيّين وكان تأسيسها سنة ١٩٢ والثانية عدوة القرويّين وكان تأسيسها سنة ١٩٣ وسميت عدوة الأندلس بمن نزلها من الأندلسيين الذين أجلاهم الحكم بن هشام عن الأندلس وسميت عدوة القرويين لأن أوّل من نزل بها مع الإمام إدريس ثمانية بيوتات من أهل القيروان انتهى مستفادا من كتاب جذوة الاقتباس ص ٩ — ٢١ ، ٩٥ — ٩٦ وغيره

مولانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدميه الشريفتين كما شاع خبرهما منذ أعوام ولهج بذكرهما الخاص والعام، أعاد الله علينا من بركتهما آمين .

وقد رآهما وتبرك بهما بالدار المذكورة جماعة من أعيان العلماء منهم الشيخ الحافظ أبو زيد سيدى عبد الرحمن بن شيخ الإسلام أبى محمد سيدى عبد القادر الفاسىّ وذلك سنة سبع وستين وألف هو وجماعة من الأئمة الأعيان وقيست النعل الشريفة بمثال بشهادة عدلين وكان المقيس[1] له على الأصل الشريف الفقيه العلامة سيدى حمدون المزوار ، ونظم ذلك أبو زيد المذكور فى أبيات كتبت عَلَى ذلك المثال المحذوّ عليه . وفى نشر المثانى فى ترجمة الشيخ الفقيه البركة أبى عبد الله سيدى محمد ابن الشيخ أبى زيد سيدى عبد الرحمن المذكور[2] ما نصه : ووجدت بخط صاحب الترجمة نسب لوالده هذه الأبيات الخمسة كتبها عَلَى مثال مُقاس على النعل الذى بيد مولاى أحمد طاهر الشريف الحسينىّ الصقلّىّ نزيل درب الدرج من عدوة فاس الأندلس الذى عنده الشهادة بخطوط أئمة أنها نعل المصطفى مولانا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهى هذه الأبيات :

---

(١) قوله المقيس هو بضمّ فكسر اسم فاعل من أقاس ، وكذلك ما جاء بعده فى عبارة — نشر المثانى من قوله (مقاس) أى بصيغة اسم المفعول من أقاس أيضا وكلاهما سبق قلم لأن المعروف فى اللغة قاس واسم الفاعل منه قائس هو بضم أوله واسم المفعول مقيس بفتح فكسر وأصله مقيوس على ما هو مقرر فى التصريف .

(٢) لم نعثر على هذا النقل فى ترجمة الشيخ محمد بن عبد الرحمن الفاسى المتوفى سنة ١١٣٤ فى نسخة نشر المثانى المطبوعة على الحجر بفاس سنة ١٣١٠ ولا فى ترجمة والده الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسى المتوفى سنة ١٠٩٦ ، فلعله سقط من هذه النسخة .

نعال بها إذ مُست الأرض شُرِّفت | بها الأرض عن أفق السموات فى الفضل
فما مثلها ذخر وهـذا مثالهـا | طباق الذى للمصطفى كان فى الرجل
وعند الصقلّيين من شرفائنا | بفاس وجدتّها فقيست بذا المثل
وفى السبع والستين والألف صنعه | محكم إتقان بشاهدَى العدل[١]
وشاهده العمرانى وهو محمد | وأحمد المزوار قاسه بالأصـــل

وفيه أيضاً ما نصه : ومن خط بعض أشياخنا رحمه الله رأيت نعل المصطفى صلى الله عليه وسلم التى بدار الشرفاء الطاهريين الحسينيين الصقليين القاطنين بعدوة فاس الأندلس فتبركت بها على أعلى البدر والحمد لله وتوسلت بها إلى الله فى حوائج فما رأيت أسرع إلى الإجابة منها فى بعضها وأنا أرجو الله فى الباقى أوائل سنة أربع وأربعين ومائة وألف وممن عاينها وتبرك بها من المتأخرين شيخ الجماعة أبو عبد الله سيدى محمد التاودى ابن سُودة المرى ، وفى ذلك يقول :

دارٌ بمصـمودة المكارم والوفا | فيها رأت عيناى نعل المصطفى[٢]
ولثمتها[٣] حتى شبعت وقلت يا | نفسى انعمى أكفاكِ؟ قالت لى كفى

قال فى الإشراف : ولعله تمثل بهما مع تغيير فى الشطر الأول إذ هما من جملة أبيات للشيخ الإمام المحدّث ابن جابر الوادى آشى نظمها بدار

---

(١) كذا ولعل الصواب (بشاهده العدل) وقد نقلنا الأبيات كما وردت ولا يخفى ما فيها من الضرورات فى الوزن .
(٢) لعله (دار بمصمود) بحذف التاء لضرورة الوزن .
(٣) فى الأصل (ولثمته) والنعل كما لا يخفى مؤنثة .

الحديث الأشرفية فى دمشق المحروسة ، وقد رأى فيها نعل النبى صلى الله عليه وسلم فقبلها وقال :

دارُ الحديث الأشرفية لى شفا فيها رأَت عينـاى نعل المصطفى

ولثمتهـــا حتى قنعت وقلت يا نفسى انعمى أكفاك قالت لى كفى

لله أوقات وصلت بهـــا المنى من بعـد طيبة ما أَجـلّ وأشرفا

لك يا دمشق عَلَى البلاد فضيلة أيامك الأعيـاد[1] ألزمها الصّـفا

وممن نسبها لابن جابر المذكور المقرى فى أزهار الرّياض ، وزاد فى آخرها بيتاً وهو :

ولكم بجيرون جررت ولم أخف ذيلا وبرحُ هواى فيها ما اختفى

وقد قال الشيـخ التاودى فى حاشيته على البخارىّ فى باب الشرب من قدح النبىّ صلّى الله عليه وسلّم من كتاب الأشربة مانصه : وقد منّ الله علىّ مع حقارتى وضعف تعلّقي بالسـنَّة والحديث بأنّى رأيت فرداً من نعل النبىّ صلّى الله عليه وسـلم ومسحت به وجهى وعينى وذلك فى العشرة الأخيرة من المائة الثانية عشرة ، وهـذه النعل بدار الأشراف الطاهريّين بعدوة الأندلس قرب مصمودة هناك معروف جدّهم بصاحب النعال ، وكان السلطان مولاى إسماعيل جبر عَلَى أخذها فأعطوه واحدة وكتموا الأخرى فلهذا لايطلعون عليها أحداً ، وهى عندهم فى ربيعة فى صندوق فى مكان معظم محترم ، ورأيت حوله خطّ واحد من العلماء ممن

(١) تقدم لنا نقل هذه الأبيات عن فتح المتعال للمقرى وبها فى هـذا البيت (لازمها) مكان ألزمها وهو أوضح معنى

أدركته لا غير وكتبت حوله فلله الحمد والمنة . وقد ذكر فى نشر المثانى قضيّة جبر السلطان المذكور عَلَى أخذها حيث قال فيه مانصّه : وفى عام أربعة عشر ومائة وألف شدّد فى المغرم على أهل فاس السلطان المنصور بالله مولانا إسماعيل ابن الشريف الحسنىّ فطلب أهل فاس من الشرفاء الطاهريين أن يعطوهم النعل النبويَّة يستشفعون بها للسلطان فحملها بعض الشرفاء المذكورين وساروا إلى السلطان فأحضروها بين يديه ودفعوها له بمكناسة ، فعفا عن أهل فاس فى تلك القضيَّة ، وأخذ السلطان النعل وأدخلها لداره بقصد التبرّك وبنى قبَّة بداره معلومة إلى الآن تسمّى قبَّة النعال ووضع فيها النعل فى كوم[1] . وبقيت النعل عند السلطان مدّة حياته ولا أدرى ما وقع بها بعد وفاته . اهـ . ومن خطّ بعضهم ما نصّه : الحمد لله وممّا وجدته مطوّقاً بخدّىْ بيت ساداتنا الشرفاء الطاهريّين الكائنة بالعدوة المجاورة لمصمودة الموضوع فيها نعلا النبىّ صلّى الله عليه وسلَّم :

يا بنى الزهراء يا من فى الورى لهم الجاه الأعزّ الأشرف
دمتمُ فى نعم لا تنقضى وسرور عنكم لا يصرف

وها هنا تنبيهات : (الأول) بحث صاحب النشر المذكور فى كون النعل المذكورة نعل المصطفى صلّى الله عليه وسلَّم بأنّ الذى يغلب على الظنّ أنّ نعاله عليه السلام قد أهلكها الدهر وطول العهد ، وبأنّ المقّرىّ فى فتح المتعال ذكر فى النعال روايات وأمثلة ممَّا عند السخاوىّ

(١) لعله كوم من الطيب كمسحوق الصندل ونحوه .

والزين العراقىّ وغيرهما ولم يعرّج عَلَى مثال هـذه النعـل التى بيد الشرفاء المذكورين مع أنّه معاصر لها بالزمان والمكان وليست ممَّا يخفى عليه ومنتهى الأمثلة التى ذكر سبعة ومثال ماعند الشرفاء المذكورين أصغر منها كلها . ونحوه قول بعض المتأخّرين من الشرفاء القادريين أيضاً فى تأليف له فى مناقب مولاى عبد الله الشريف الوزانى لم يصحّ استمرار طول مكث نعليه صلَّى الله عليه وسلَّم إلى الآن بعد المائتين وألف لأنَّ الدنيا جميع مافيها يفنى إلاّ أشياء استثنوها من ذلك ، وقد سألت عن ذلك أهل حرفة الدباغة فقالوا لى : إن كانتا من الجلد النيء غير المدبوغ فإنه يسوس ، وإن كانتا من الجلد السبتى المدبوغ الذى ليس فيه شعر فإنّه يكرفُ وييبس ويتمزّق ، وإن كانتا من الجلد الافرنجى العنان فإنّه يكرفُ ويتمزّق أيضاً ولا أثر لبقاء وجودهما إلى الآن ومن ادَّعى شيئاً من ذلك فلا يصدّقه العرف فى دعواه .

قلت : وفى هذا الذى ذكراه نظر .

أمَّا أوَّلاً فقد تقدّم أنّه شهد لهم بأنّها نعل المصطفى صلَّى الله عليه وسلَّم أئمّة علماء ، ويبعد كل البعد أن يشهدوا على غير يقين أو ظنّ قريب من اليقين .

وأمّا ثانياً فإنّ ما استدلاّ به على فنائهما لاينهض ، فإنّ الله تعالى حرَّم عَلَى الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ، ولا يبعد أن ينسحب ذلك أيضاً على بعض ماحلّ بأجسادهم الكريمة من النعال وشبهها معجزة لهم . وقد وقع لمولانا إدريس الأكبر دفين زرهون أنّه ظهر جسده الشريف

بكفنه عام ثمانية عشر وسبعمائة ولم تعد الأرض عَلَى شىء من الجسد ولا من الكفن المصاحب له ، وكان بين وفاته وظهور جسده عَلَى الحالة المذكورة خمسمائة سنة وأحد وأربعون سنة وثمانية أشهر .

وأما ثالثاً فإن الجلد إذا كان محفوظاً مصوناً من الماء والشمس ونحوهما لايسرع إليه البلى بالكلية ولا يبعد بقاؤه هذه المدة وأزيد منها ، وقد رأينا من الكتب المكتوبة ماله نحو من سبعمائة سنة مع كون كتابته فى أوراق من الكاغد ويحل بأيدى كثير من الناس وتطرأ عليه أنواع من التغييرات كثيرة ، فكيف بجلد البقر أوالإبل الغليظ المصون عن الأيدى والتغيرات . وعدم ذكر المقرى وغيره لهذه النعل لا ينفيها إذ لم يستوعبوا ذكر النعال التى مشى بها عليه الصلاة والسلام فى عمره ، وإنما ذكروا منها ما حصلت لهم به رواية أو نقل لهم فيه أمر وما بقى أكثر مما ذكروا بكثير ، وقد عد جماعة من الأئمة وهم علماء صلحاء رؤيتهم لهذه النعل التى بيد هؤلاء الشرفاء من أعظم نعم الله تعالى عليهم وتبركوا بها وشاهدوا بركتها ووجدوها ، وأى دليل أقوى من هذا فلايعدل عنه إلى التجويزات العقلية التى لا مستند لها إلا الوقوف مع العادة إن سلمت .

(الثانى) ما زال الناس يتبركون بمثل النعل والقلنسوة والعكازة والسبحة ونحوها مما ترجى بركته ، فأحرى بمرات عديدة ما كان من سيد الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم ، وما زالت حوائجه وآثاره عليه السلام بيد الصحابة فمن بعدهم على وجه الحفظ والأمانة والتبرك بها لا على سبيل الميراث ، وذلك معلوم عند من طالع السير والتواريخ .

(الثالث) ذكروا لمثال النعل الشريفة خواصّ عديدة ذكر بعضها في التقاط الدرر تبعاً للمقّرى فى فتح المتعال ، ونصه : ولصورة هذه النعل الكريمة خواصّ وبركات ، فمنها أن مَن وضعها عَلَى محل وجع يعنى بنية صادقة شفاه الله من حينه ، وإن أمسكها متبركا بها كانت له أماناً من بغى البغاة ، وحرزاً من الشيطان ، ومن عين كل حاسد ، وإن أمسكتها صاحبة الطلق بيمينها وقد اشتد عليها الطلق تيسر أمرها فى الحين ، ومن لازم حملها كان له القبول التامّ ولا بد أن يزور النبي صلى الله عليه وسلم أو يراه مناماً ، ومن سافر به فى برّ أو بحر فعرضت له آفة خوف أو هلاك نجاه الله وآمنه ، ذكر هذه الأشياء الحافظ المقرى فى فتح المتعال منقولة عن الأئمة بسندها وذكر قضايا وقعت من ذلك له ولغيره فانظره .

(الرابع) كثير من الناس اليوم يتطير من رؤية هذه النعل التى بيد هؤلاء الشرفاء ويزعمون أن من رآها مات بعد أيام يسيرة ، ويذكرون لذلك قضايا اتفاقية ، ولا صحة لهذا وإنما هو من تخيلات الأوهام التى لامعوّل عليها ، وقد عاش أبو زيد الفاسى بعد رؤيتها قريباً من ثلاثين سنة ، والشيخ التاودى أزيد من عشرة أعوام ، نعم هذا أمر جعله الله فى نفوس العامة ليصونوا به هذه النعل الكريمة من الابتذال والوقوع فى يد من لا يرضى حاله ، ولله تعالى فيما يريد حكم وأسرار لا يعلمها إلا هو سبحانه والله أعلم » انتهى بنصه ، ولم نغير فيه إلا بعض أفعال ونعوت وردت مذكّرة فى بعض العبارات لعدهم النعل من المذكرات وهى مؤنثة ، فجعلناها بالتأنيث .

نعل غير صحيحة : وهى نعل أهداها بعضهم للخليفة المهدى العباسى فظهر له أنها غير صحيحة غير أنه قبلها وأجاز مهديها سياسة منه ، ذكر ذلك ابن شاكر فى ترجمته فى فوات الوفيات ج ٢ ص٢٢٥ ونص عبارته: وجلس المهدى جلوساً عاماً فدخل عليه رجل وبيده منديل فيه نعل فقال يا أمير المؤمنين هذه نعل رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أهديتها لك فأخذها منه وقبلها ووضعها على عينيه وأعطاه عشرة آلاف درهم فلما خرج قال لجلسائه : ما ترون أنى أعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يرها فضلا عن أن يكون لبسها ، ولو كذبناه لقال للناس : أتيت أمير المؤمنين بنعل رسول الله صلى الله عليه وسلم فردها على ، وكان من يصدقه أكثر ممن يكذبه ، إذ كان من شأن العامة الميل إلى أشكالها والنصرة للضعيف على القوى وإن كان ظالماً ، فاشترينا لسانه ، وقبلنا هديته ، وصدقناه قوله ، وكان الذى فعلناه أرجح وأنجح » . انتهى[١] .

(١) هذا الفصل الخاص بالنعال النبوية وجدت أصوله بخط المؤلف المرحوم تيمور باشا

الخـــــاتمة

وجدت بين مخلفات المؤلف أوراق شتى هى بعض المذكرات والتعليقات التى عول عليها فى كتابة تلك الفصول قبل أن ينشر أكثرها فى مجلة الهداية الإسلامية سنة ١٣٤٨ هـ ، وقد عثرنا بين هذه الأوراق بورقة كتب فيها المؤلف هذه الأسطر ، فإذا هى خير خاتمة لتلك الفصول النفيسة فى الآثار النبوية :

« ليس فى هذه الآثار ولا فيما أوردناه عنها من النصوص ما يبعث على الاسترابة فى نسبتها إلى المقام النبوىّ الكريم ، ولا يخفى أنّ كلّ شىء محتمل للصحَّة إذا لم يلمز بطعن أو يحفّ بشبهة واستفاضت به الأخبار كان حقيقاً بأن تطمئنّ إليه النفوس وتتلقاه بالقبول ، ولاسيَّما إذا كان أثراً منسوباً إليه صلى الله عليه وسلم لا تؤمن فيه مغبة الشك والإنكار . ولهذا رأينا ذوى الحيطة من السلف ومن ائتم بهديهم فى كل جيل يتحرجون عن المجازفة بالإنكار فى مثل هذه الآثار ، ويرون السلامة فى قبولها والتسليم بها ما لم يمنع مانع » .



الفهرس

صفحة


دار الكتاب العربي